من باكستان
إلى
بغداد
"شارع الرشيد"
فاطمة الكحلوت

الحياة مليئة بالقصص والتجارب تنقلنا الأيام من حالٍ إلى حال ، وبين غمضة عين يغير الله ما لا يتغير ، نبحث عن الحب وفي النهاية نجده ونعثر عليه حتى وإن كان في أقصى بقاع الأرض .

نبذة عني

فاطمة الكحلوت ولدت في ٢٩ / ١٠ / ١٩٩٨ في مدينة السلط في الأردن عملت ناشطة في مجال حقوق المرأة والطفل ، عملت محررة وكاتبة في مجلة المرأة العربية وفي مجلة سحر الحياة لدعم أبطال السرطان ، أصدرت عدة كتب منها ذاكرة يبللها

المطر وأنثى لا تنسى وسكة سفر وأين تباع السعادة والعشق بدون قواعد .

من باكستان

إلى

بغداد

"شارع الرشيد "

"المقدمة"

لا يمكنك أن تعرف ماذا يخبأ لك المستقبل ،إنه علم الغيب الذي يخبأه الله عنّا لنتمكن من العيش ،لطالما حاولت كثيرا معرفة وقراءة مستقبلي فلم أترك شئ إلا وقد جربته من قراءة الكف والفنجان والتاروت والأبراج لكن لم يكن هنالك شئ واحد يخبرني الحقيقة ،لذلك توقفت عن قراءة الأبراج وقررت أن أبدأ من غير تخطيط أو تنظيم ..

الفصل الأول

"دارين"

نظرت إلى اللابتوب المركون على الطاولة منذ مدة والذي لا أستخدمه إلا للحالات الطارئة حين ينكسر هاتفي أو حين أرسل رسائل للبحث عن العمل ، فمنذ تخرجي من الجامعة وأنا هكذا منعزلة تماما عن العالم الخارجي ، أنتظر معجزة أن تغير حياتي وتبعث السعادة في داخلي ،دوما أشعر بأن أمريكيا لا تناسبني مهما بدت مدينة كبيرة ومنفتحة كثيرا ومتقدمة ومزدهرة في كافة المجالات إلا أنني أشعر دوما بأنني لا أنتمي إلى هنا .

لقد أقمت مع جدتي في ولاية ألاباما ودرست الهندسة في الجامعة الأمريكية ،بدأت اكتشاف الفروقات الشاسعة بين العالم العربي الاسلامي وبين الغرب ،لكنني دوما أشعر بأن الإنسانية توحد البشر جميعا ،هذا ما رأيته في المنطقة التي أسكن بها ،كنت كل

يوم أجلس على الكرسي أراقب سكان الحي وهم يذهبون إلى أعمالهم ،كانت جارتنا كاتري تمارس المشي كل يوم مع كلبها لوف ألقت التحية عليّ وبعدها أكملت سيرها ،في ذلك الوقت وصلتني رسالة من عميد الكلية جورج يخبرني بأنني أستطيع أن أجد وظيفة ما إن أصبحت مثل زها حديد ، ضحكت بسخرية أنا ؟! وكيف ذلك ؟!

زها حديد مهندسة عراقية حاربها الغرب لأنها مسلمة وحاربها العرب لأنها فتاة ، المهندسة التي قدمت تصاميم لا مثيل لها في العالم ،بدأت أتصفح عبر الإنترنت معلومات عنها وعن التصاميم التي قدمتها للعالم ،المرأة حتى تتحدى العالم فإنها تنجز ما لم يستطع أحد إنجازه ، تفاجأت من رسالة العميد لي هل يقصد بأنني لن أتمكن من إيجاد أي وظيفة أم أنه كان يريد مني رؤية الأمر بمنظور آخر ، لربما كنت دوما فتاة صعبة في التعامل وأجيد تحدي أصعب العراقيل .

٥/ أكتوبر/ ٢٠٢٣

"ولاية ألاباما "

"دارين "

رن جرس المنبه ،نهضت من فراشي كانت الساعة الخامسة بعد العصر ،تذكرت بأن عليّ شراء الكثير من الأمور في السوق التجاري ، فقد طلبت مني جدتي تفقد الدقيق والمعكرونة والخضراوات ما زالت تحب تحضير الطعام في المنزل دوما تقول لي بأن طعام الغرب غير طاهر وأنا لا أناقشها بالأمر .

اتصلت بعائلتي في الكويت وسألت عن الأهل والأصدقاء أخبرني والدي بأنهم سيأتون للعيش هنا مع جدتي ،لم اتفاجأ فوالدي كان يريد السفر منذ سنوات بعيدة لكنه كان ينتظر أختي نور دراستها الثانوية ،لقد اعتدت على نمط العيش هنا اعتياد وليس حب ،إنك هنا غير ملتزم في علاقتك مع الأهل والأصدقاء لقد رأيت عادات لا تمثلنا بأي شئ فمثلا

هناك الجامعات مليئة بالعلاقات الغير مشروعة كما أن أغلبهم يعاني من أمراض ومشكلات نفسية لطالما كنت مختلفة عنهم بكل شئ لذلك حظيت بصداقات قوية كانت مجرد مساعدات في حل الدروس والواجبات ولم يكن هنالك أي تجاوز لأي حد معي ،كل ما يهمني أن آخذ العلم ولو في أقصى بقاع الأرض .

٦/ أكتوبر/ ٢٠٢٣

" دارين "

أقنعت والدي بأن عليّ السفر إلى العراق والتعلم هناك ، في بداية الأمر رفض ذلك لكنني أقنعته بأنني قادرة على العيش هناك وأن لديّ صديقة وسأبقى في منزلهم لمدة من الوقت ،كان اقناعه صعب لكنه بالنهاية قبل ذلك .

لقد قررت السفر وكان هذا القرار هو القرار الذي غير مجرى حياتي وإلى الأبد ،رأيت بأننا كلما سرنا في طرقات الحياة تعلمنا أكثر فأكثر بل أيضا نشعر بأننا نجهل الكثير ونفتقد للكثير ،فمثلا حين نتقرب من الله نعرف حجم بعدنا عنه في السابق وندرك كم أننا بعيدين عن فهم الأمور التي يقدرها الله لنا .

جهزت حقيبة السفر والجواز وقطعت تذكرة سفر إلى العراق ،قررت أن أكتب كل شئ يحدث معي ،كانت هنالك مخاوف في قلبي لكنني تذكرت بأن المرء حين

يحط قدماه على الطريق الصحيح بعدها سيعرف وجهته ..

١٠/ أكتوبر/ ٢٠٢٣

" شارع الرشيد "

" دارين "

وصلت المطار كانت الساعة الثانية عشر بعد الظهر ،حملت حقيبتي وتوجهت إلى شارع الرشيد ،نزلت من سيارة الأجرة وأخذت نفسا عميقا ،أخذت أتأمل الأماكن من حولي والمحلات التجارية أمسكت هاتفي وبحثت عبر جوجل عن شارع الرشيد بعد أن اتصلت بصديقتي منال وأخبرتها بوصولي ، كان الطقس بارد يوحي بهطول المطر .

حين تخط قدماك أي مكان تحاول أن تجمع الصور التي تحيطك لتحفظها في ذاكرتك ،حين رأيت شارع الرشيد عرفت مدى عراقة الشارع وأهميته بالنسبة إلى العراق .

وقفت عند بائع الكعك أعطاني الكعك وقال لي أنتِ في موطنك، كلمة أنتِ في موطنك دقت في أعماق قلبي

وتغللت في روحي ،إنني لا أعرف كيف جازفت وسافرت إلى هنا وفي أول يوم لي هنا يقول لي رجل لا أعرفه أنتِ في موطنك.

"شارع الرشيد "

يكاد شارع الرشيد يلخص تاريخ بلد وأزمة وطن لكثرة ما يروي عن نفسه من إرث وأناس مروا عليه.

وشارع الرشيد أنشأه أول مرة خليل باشا حاكم بغداد وقائد الجيش العثماني وسمي باسمه (خليل باشا جادة سيتي)، وافتتح في 23 يوليو/تموز 1916 وهو يوم إعلان الدستور، ويمتد من الباب الشرقي إلى باب المعظم، وكان الغرض منه تسهيل سير العربات العسكرية.

ثم تطورت الأمور ليصبح الشريان الرئيسي لمدينة بغداد، وهو أشهر شارع عراقي، لما ضمه من شواهد سياسية وعمرانية وثقافية وفنية.

وتبدلت تسميات الشارع لعدة مرات إلى أن استقر الاسم على شارع الرشيد عام 1936 الذي أطلقه العالم اللغوي والمؤرخ العراقي مصطفى جواد تيمنا بالعصر الذهبي للخليفة هارون الرشيد، وأخذت به أمانة العاصمة المسؤولة عن تسميات الشوارع، وظل الاسم إلى يومنا هذا.

وشهد الشارع محاولة اغتيال فاشلة لأول رئيس للوزراء عبد الكريم قاسم بعد انقلاب 14 يوليو/تموز 1958 الذي أطاح بالنظام الملكي.

بقيت أتجول في المكان إلى حين اتصلت بي صديقتي منال وأخبرتني بأن عليّ الذهاب معها إلى طبيبٍ يدعى عمار الجصاني الكاظمي ،قلت لها أخبريني أين

هو ؟! لكن سرعان ما أغلقت الهاتف ،وصلتني رسالة فيها عنوان عيادة الطبيب فأوقفت سيارة الأجرة وأعطيته العنوان ،كان ينظر إليّ بتعجب لأنه بالتأكيد عرف بأنني غريبة عن المنطقة .

وصلنا العيادة في منطقة تسمى الكاظمية، تعبت كثيرا اليوم جلست على الكرسي أبحث عن منال سرعان ما استقبلتني بحفاوة وحب وعناق طويل قالت لي بأن عليّ التعرف على الطبيب فقد حدثته عني فقبلت ذلك ، دخلت الغرفة سلمت عليه فقال لي : هل أنتِ مغتربة ؟! فقلت له : أجل .

سمعت أنه أفضل طبيب في الكاظمية ،كان لقائي الأول به محظ صدفة لكنني سررت بمقابلته، قلت له أريد التعرف أكثر على العيادة فقال لي سآخذك بجولة فيها ،شعرت بالسعادة لأنه قبل ذلك ،تجولنا في عيادته لفت انتباهي الشهادات التي حصل عليها ودراساته العليا ،كان ذلك مثير للاهتمام والحب والرغبة في العمل

أكثر ،ذلك كان دافع لي للعمل بجد واجتهاد والمثابرة من أجل حياة أفضل .

سألني هل تجولتِ قليلا في بغداد ؟! فقلت له : لا ، فقط رأيت القليل من الأشياء فقال لي : هل ترغبين بالتعرف على بغداد أكثر فأكثر فأجبته نعم ،أتمنى ذلك .

اقترح عليّ بأن أذهب معه في جولة للتعرف على بغداد فقبلت ذلك ،لكن في ذلك الوقت لم تسمح لي الفرصة فقد كنت منشغلة تماما في دراستي الجامعية فقد قررت دراسة الهندسة هنا في العراق .

لم تكن صديقتي منال قادرة على أخذي للتجول في بغداد فهي مازالت تعاني من مشكلات صحية ،لذلك بقيت في منزلهم تعلمت بعض الأمور التي تتعلق في الطبخ ، وكنت أساعد والدتها في ترتيب المنزل ،لم أشعر بالغربة وأنا معهم ، وصلتني رسالة من الطبيب عمار يقول لي فيها بعد أيام سيقام ذكرى استشهاد

الإمام كاظم هل تحبي أن تكوني معنا ؟! رددت عليه : أجل ،أقبل بذلك .

٢٥ /رجب / ٢٠٢٤

بغداد

ارتديت فستانا أسود اللون ووضعت شالا يغطي رأسي ثم اتصلت به أخبرني بأنه قد وصل ،فأخبرت والدة منال بأنني سأخرج الآن ،خرجت من المنزل فوجدته ينتظرني يرتدي قميصا أسود اللون يبدو جميلا للغاية ،طويل وعريض الكتف عيناها بنيتان اللون وابتسامته لا تفارق وجهه ، عيناه واسعتان فيهما سحر غريب مليئتان بالتناقض من مشاعر الحزن والسعادة ،غالبا يخفي حزنه ليكون مصدر أمانٍ لغيره ،مُحب للحياة وكريم لكنه متعب من شئ ولا أعلم ما هو ؟!

إنها الحياة ذاتها مزدوج من المشاعر ،لا يمكنك أن تحكم على أي أحد بأنه سعيد لأن ليس هنالك سعادة مطلقة أو حزن مطلق ،لأن المرء لا يمكنه أن يشعر بالسعادة دون أن يمر بأوقات حزينة .

لم يكن مختلف عني كثيرا لأن عيوننا متشابهة كثيرا ،نعشق بسخاء ونحزن بسخاء ،كلانا كريم في مشاعره ،كلما نظرت إليه تذكرت بأنني في المكان الصحيح ،بائع الكعك لم يخطأ حين قال لي " أنتِ في موطنك يا ابنتي "

لقد عشت فتاة وحيدة رغم صداقاتي العابرة والكثيرة، اتكأت على نفسي ،تعثرت ونهضت كنت أخلق مليون سبب للبقاء وللاستمرار، وحين وجدت نفسي في موطني كما قيل لي شعرت بالأمان والحب .

ركبت السيارة معه فقال لي الطقس جميل اليوم فقلت له أجل وهذا يسعدني ،فقد جئت بغداد في فصل الشتاء ،الجو بارد جدا ولم أتمكن من التجول جيدا فيها بسبب

ما أعانيه من برودة الأطراف ،حدق بي ثم قال لي لماذا لم تخبريني بأنك مصابة ببرودة الأطراف ؟! فقلت له : لا داعي فالشتاء قد رحل وأنا بخير الآن ، فقال لي ستأتي غدا إلى عيادتي قلت له لا أريد ذلك فأوقف السيارة فجأة ،حبست أنفاسي فقال لي وهو ينظر إليّ لا تعارضي كلامي فقلت له مثلما تريد ،لن أعارض كلامك .

أكمل قيادة السيارة قلت له إن بغداد مدينة عريقة فقال لي أجل إنها مدينة مليئة بالتراث والمعالم الدينية وأهم معلم ديني فيها قبر الإمامين موسى ابن جعفر الكاظم والإمام محمد الجواد والذي ينحدر نسبهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، سألته لماذا أهل العراق يهتمون كثيرا بالمراقد والمناسبات الدينية فقال لي إن أهل الشيعة لديهم جوع عاطفي تجاه أبناء الرسول صلى الله عليه وسلم فقلت له هل هنالك فرق بين السنة والشيعة فأنا سُنية فقال لي لا فرق فالاسلام

واحد ، قلت له أين سنذهب الآن فقال لي إلى موكب موسى والجواد الخدمي وهو مكان يقدم الطعام والمنام مجاني للفقراء والمحتاجين ، أعجبني ذلك كثير ، على طول الطريق كنت أنظر إلى المحلات التجارية والناس التي ملأت الشوارع بلباسهم الأسود لإحياء ذكرى استشهاد الإمام الكاظم عليه السلام ، وصلنا الموكب كان هنالك الكثير من الناس والذين يقومون بالطهي بالقدور قلت له هل تسمح لي بأن أطهو معهم فقال لي نعم ،لكن احذري من النار ألا تحترقي ثم قال لي تمني أمنية في داخلك سيستجيب الله لأن هذا الطعام فيه البركة والثواب لأنه يقدم للفقراء والمحتاجين ،بعدها جلسنا في أحد المواكب كنت سعيدة جدا في معرفة أمور لم يسبق لي التعرف عليها ،قلت له بأنني أجيد الطبخ فقد كنت أطهو كثيرا في أمريكا وأساعد جدتي في أغلب الأوقات ،ابتسم وقال لي لا شك عندي في ذلك ،لكنني أريد تذوق طعامك فقلت له أجل مثلما تريد ،اتفقنا .

جاء رئيس الموكب وألقى التحية على الدكتور عمار ،عرفت أنه طبيب مشهور في الكاظمية بعدها ألقى التحية علي وقال لي " نحن نقيم ذكرى استشهاد الإمام كاظم في ٢٥ رجب في كل عام والذي مات غريبا في سجون هارون الرشيد بعد أن دُس له السم ،بعدها قال لي الطبيب عمار بأن الإمام موسى بن جعفر سمي بالكاظم لشدة كظمه عن الإساءة له ،لقد أحزنني ذلك كثيرا .

بعدها سرنا معا في شارع الرشيد كنت أشعر بلهفة وشوق لرؤية كل تفاصيل الشارع بينما كان يقول لي انتبهي هنا وهناك لكي تعرفي أدق التفاصيل فكل شئ له ماضي عريق يحكي تاريخ بغداد ،الشارع مليئ بالجوامع، جامع الحيدر خانة قال لي بأن الجامع شيده داود باشا عام ١٨١٩ ،إنه يحفظ تفاصيل الطرقات والشوارع حاضرها وماضيها، كما قال لي هذا جامع حسين باشا وهذا جامع مرجان وجامع السلطان علي

،كنت أشعر بسعادة كبيرة فقال لي هنالك الكثير الذي لم تشاهديه بعد ،ثم نظر إلي بتعجب وسألني لماذا رؤية المساجد تسعدك ؟! فقلت له لإنها دوما تذكرني بالملاجئ الآمنة ،تذكرني بقرب الله منّا ،قال لي : أجل ،صدقتِ بعدها أخذنا الحديث عن أمر آخر فقال لي : أخبريني ماذا تمنيت وأنتِ تحركين الطعام ؟! فقلت له : أنت ستخبرني أمنيتك ،فهمم قائلا لقد تمنيت دوام الصحة والعافية فقلت له وماذا أيضا فقال لي : هذا سر ، نظرت إلى سرب الحمام الذي يحلق فوق جامع حسين باشا ثم قلت له لنعد إلى المنزل أوشكت الشمس أن تغيب فقال لي : لا ،انتظري قليلا ،هنالك شئ يجب أن تتعرفي عليه كنت أنظر إلى عيونه وهو يحكي لي تفاصيل الشارع فقال لي إياكِ أن تتعثري بالأرض انتبهي، بعدها أدرت ظهري فقرأت " مكتبة كنزي " نظرت إليه وقلت له ماذا ؟! فضحك وقال لي إنها من أهم معالم الشارع تحوي الكتب والروايات العالمية تم افتتاحه عام ١٩١٦ ،قال لي هل ترغبي

بشراء كتاب ما ؟! كنت أريد اخباره بأنني لا أحب قراءة شئ إلا أنت ، أن أعرفك كما تعرف أنت بغداد ، لكنني قلت له أريد قراءة تاريخ بغداد في العصر الذهبي .

بعدها ركبت سيارته فقال لي ما زال هنالك دار سينما اسمها الزوراء انظري إليها كانت قريبة من مقهى الملا حمادي صممت من قبل المعمار نعمان منيب المتولي ،وهنا المنطقة تسمى المربعة ،ثم ابتعدنا عن الشارع قلت له لا يمكنني أن احفظ تفاصيل أي مكان بهذه الطريقة فقال لي بغداد ليست أي مكان إنما هي المحبوبة فالمحبوبة وبغداد واحد ، فقلت له لقد تعجبت من محبتك لها وتذكرت الشاعر العراقي بدر شاكر السياب، قلت لي توقفي عن الكلام لحين قطع الإشارة حتى أتمكن من التركيز معك فقلت له مثلما تريد ،كانت لا تزال هنالك أزمة سير في الشوارع

والاحتفال بذكرى استشهاد الإمام كاظم يعم أرجاء بغداد .

الساعة العاشرة

" دارين "

عندما زرت العتبة المقدسة في الكاظمية شعرت بشعور غريب ،فكرت كثيرا بالإمام موسى بن جعفر الكاظم والذي يُقال له صاحب السجدة الطويلة ، كم يكون المرء قريبا من الله حين يناشده في السجود ، نظرت إلى عيون الدكتور كانت مليئة بالحزن

والإيمان ، قال بأنه سيذهب إلى المفرزة الطبية لذلك لم أتمكن من قضاء يوم كامل ، كانت الحشود بالملايين لأول مرة أشهد ذلك الحدث ، تذكرت بأن الله يحب النبي صلى الله عليه وسلم وآل بيته فقد قال لي الدكتور عمار بأن موسى بن جعفر ينحدر نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، أرسل لي رسالة : تصبحين على خير رددت عليه أحلام سعيدة .

أغلقت هاتفي فجاءت خالتي زينة والدة منال تطرق الباب فقلت لها : تفضلي ،جلست بجواري على السرير وسألتني عن يومي فأخبرتها بكل ما رأيته ،كانت قد ذهبت مع منال إلى العتبة المقدسة قلت لها : العراق جميل جدا ، فقالت لي : نعم جميل فقد تزوجت وسافرت إلى أمريكا وعدت إلى أرض الوطن .

شعرت بالسعادة لأنها بدأت تحكي لي عن حياتها ، أخبرتها بأنني سأذهب إلى عيادتك الطبية فقالت لي بأنها ستأتي معي فقلت لها مثلما تريدين واتفقنا على

ذلك بعدها خرجت من الغرفة ، سألت منال هل ترغبين في الذهاب معنا فقالت لي مثلما تحبين ، قلت لها لم أتوقع أن أحب العراق بهذا الشكل وبهذا الحجم فقالت لي مازحة هل تحبين العراق أم شخص ما في العراق ؟! فقلت لها لا أعلم لكنني أحببت المدينة كثيرا ، قالت لي لقد أكملت تسجيل دراستك الجامعية فقلت لها شكرا حبيبتي ، لقد أتعبتك معي كثيرا فقالت لي لا بأس فأنتِ ضيفتي في بغداد ، ابتسمت وقلت لها اعطني المشط من يديك أريد تسريح شعرك ثم قلت لها ما شاء الله شعرك طويل وناعم ، استمعنا إلى أغنية سعدون جابر بياع من يشتري حلمي ومواويله قلت له لقد تذكرت عميد الكلية حين سخر مني وقال لي إن أردت العمل عليكِ أن تكوني مثل زها حديد ثم ضحكنا بصوت عالي قالت لي منال لا أحب تذكره كم كان متغطرس ومتكبر ومغرور ، لقد كانت أفكاري مع منال متشابهة فالعرب أساس الحضارة والعلم والتاريخ .

نمت على السرير المجاور للنافذة، كنت أنظر إلى النجوم البراقة في السماء أفكر فيما قاله لي الطبيب عمار سنذهب إلى شارع الرشيد وشارع المتنبي والمتحف البغدادي وسوق الشورجه وسوق الغزل وشارع السنك وبعدها الباب الشرقي ثم نعود في الباص إلى الأعظمية ، لقد تعرفت اليوم على شارع الرشيد فماذا بعد ، أين ستكون رحلتي القادمة .... كنت أنتظر الصباح بفارغ الصبر .....

٢/ ٣ / ٢٠٢٤

"دارين "

ذهبت مع منال إلى الكلية تأكدت من إجراءات التسجيل ، أخذت الخطة الدراسية والجداول الدراسية وكتبت لائحة بالكتب التي احتاجها ، كانت أمي تتصل بي رددت عليها فقالت لي بأن عمي عدنان أصيب

بنوبة حادة وهو الآن في أحدى المستشفيات في الكويت ، حزنت كثيرا حين سمعت الخبر ولم أعرف ماذا سأفعل حاولت الاتصال به إلى أن رددت زوجته ندين على الهاتف كانت تبكي كثيرا لم أعرف كيف أواسي قلبها لكنني قلت لها سأبقى على اتصال دائم معك ، سيشفى بإذن الله ، أغلقت الهاتف وجلست على المقعد أبكي بشدة عليه جاءت منال تسألني عن السبب فأخبرتها فقالت لي لا تقلقي إن زوجته وأولاده بجواره سيكون بخير ، نظرت إليها بأسف شديد إنه عقيم .

ركبنا السيارة وعدنا إلى المنزل ، صعدت الدرج كان صوت الاغاني يصل إلى أول باب العمارة " جيت أسالج يا دار عن قرة العين " فتحت لنا خالتي زينة كانت تمسح الغبار عن الصور التذكارية، جلست بجوارها وتذكرت عمي عدنان فأخذت أبكي ، شعرت بالغربة كثيرا ، مسحت لي دموعي وقالت لي ما بكِ يا ابنتي فقالت لها منال إن عمها في المستشفى وهي

حزينة عليه ، أمسكت هاتفي وفتحت على صوره قلتهم لهن هذا هو عمي عدنان ، صدمت خالتي زينة فألقت الزجاج من يديها ، نظرت إلى الزجاج المحطم في الأرض ثم نظرت إليها سألتني وهي حزينة هل هذا عمك ؟! فقلت لها أجل ، هل تعرفينه ؟! أخذت الهاتف من يدي وقالت لي : لا أعرفه ثم أردفت قائلة ليتني لم أعرفه نظرت إليها ما القصة ؟! أخبريني !!

قالت لي إنه زوجي السابق ، هل لديه أولاد ؟! قلت لها : لا ، إنه عقيم .

نظرت إليّ وقالت إنه عقيم وأنا عقيم .

قلت لها منال !! أقصد ابنتك ؟!

فقالت لي منال إنها ليست أمي الحقيقية وأنا أعرف ذلك، هي تكون عمتي .

شعرت بالارتياح لكنني لم أعرف قصة زواج عمي عدنان من خالتي زينة .

رن هاتفي كثيرا كان الدكتور عمار يتصل بي كثيرا ، رددت عليه فقال لي : لماذا تأخرتِ ، إنني أنتظرك .

فقلت له : سآتي على الفور .

قلت لهن من ستأتي معي ؟!

قالت خالتي زينة : سأبقى في المنزل ، حتى منال اعتذرت مني فذهبت لوحدي ، ركبت سيارة الأجرة وذهبت إلى الكاظمية، باب الدروازه أعطيت السائق الأجرة ونزلت من السيارة عند ساحة قريش كانت تعم بالسكان المحليين ، هنالك العديد من البائعين ، مستشفى للأطفال ، الإطفاء ، المطاعم ، سرت في الطريق على جانبيّ المحلات التجارية والملابس ومطعم المثنى تذكرت بأن الطبيب أخبرني بأنه يتناول طعامه يوميا فيه ، ثم تعديت ملحمة لبيع اللحوم والبيض وقفت عند باب العمارة " عمارة نبأ قريش " صعدت الدرج وجدت صورة الدكتور عمار الجصاني وقفت عند الباب قليلا ثم طرقت الباب ،

كان هنالك الكثير من المراجعين جلست على الأريكة ونظرت من حولي إلى اللوحات المعلقة والنصائح الطبية .

أرسل لي رسالة : هل ستأتي يا دارين ؟!

رددت عليه : أنا في العيادة .

فتح باب غرفته فقال لي : تعالي يا دارين ، حتى اسمي كان له نغمة أخرى وشعور آخر حين ينادي عليّ .

قال لي : اجلسي على الكرسي ، سأجري لك بعض الفحوصات ، خذي نفسا عميقا ، شهيق ثم زفير .

كانت الممرضة تقف بجواري ، لم أستطع أخذ نفسٍ عميق كنت أشعر بالاختناق، انسدل شعري قليلا فقمت بسرعة كي أضع الشال على رأسي ، نظر إليّ وقال لي : أنتِ كالسمكة ، احمرّ وجهي خجلا فضحكت الممرضة وقالت : لم يسبق له أن تغزل بأحد هكذا فقلت لها : ربما لأنني مغتربة .

نظر إليّ وقال خذي هذه الفحوصات واذهبي إلى المختبر .

قالت لي الممرضة : سآتي معك .

اعتقدت بأنه سيأتي معي لكن كان لديه الكثير من المراجعين ، ذهبت إلى المختبر وأجريت عدة فحوصات وبعدها عدت أجلس على الأريكة ، انتظرت خروج النتائج .

مرّ الوقت ، قلت لي : النتائج جاهزة تعالي الآن ، جلست على الكرسي المقابل قلت بأن النتائج ليست سيئة لكن عليكِ أن تقومي بهذه الأمور :

الحفاظ على الحركة المستمرة.

ارتداء الجوارب الدافئة.

نقع القدمين بالماء الدافئ.

وضع وسادة دافئة على القدمين .

بدأت تقول لي ما أفعل وما لا أفعل، وفي منتصف الحديث سألته هل ستأخذني جولة هنا في عيادتك ،فقال لي إنها مفرزة طبية فقلت له ماذا تعني ؟!

قال لي بأنها اضطرارية ومؤقتة في الحالات الطارئة وفي أيام المناسبات الدينية والثقافية فإنه يتم تقديم فحص مجاني للمرضى ووصف العلاج وصرفه مجانا ، كما فعلت في ذكرى استشهاد الإمام كاظم عليه السلام .

لقد أعجبني ذلك كثيرا فقد عملت سابقا في الجمعيات الخيرية والتي تدعم الفقراء والمحتاجين وعملت متطوعة في المناطق النائية والفقيرة ، تذكرت كمية السعادة التي نحصل عليها حين نقدم الخدمة والمساعدة للآخرين ، فالسعادة التي نشعر بها هي التي نعطيها لغيرنا هكذا قرأت في كتاب أين تباع السعادة .

في الدول المتقدمة مهما كان التقدم رائعا ومذهلاً ويدل على مدى تطور الدولة ومعاصرتها للتكنولوجيا فإن مناطقها النائية والفقيرة أسوء بكثير من الدول العربية .

دوما هنالك مشكلات الفقر والمجاعة والبطالة والأمراض والتمييز والعنصرية والعنف ضد المرأة والطفل ، أتذكر في ولاية ألاباما الأمريكية قام زوج بصفع زوجته لأنها خانته مع رجل آخر فقامت برفع قضية طلاق وبسبب الجنسية الأمريكية التي تحملها تم زجه بالسجن لمدة ثلاث سنوات مع الأعمال الشاقة ، لم يكن نظامهم يرضي أفكاري فدوما هنالك ظلم بشكل كبير وتفكك أسري .

أرسلت رسالة إلى صديقي الأمريكي أريان سألته عن حالته الصحية فقد أخبرني منذ مدة بأنه ينام كثيرا من الشدة التعب ظننت بأن ذلك بسبب الكحول لكنني

عرفت بأنه قد توقف عن شربه منذ مدة ، قال لي بأنه وحيد ، وحيد كثيرا .....

أخبرني تفاصيل الطلاق بينه وبين إلينا وقد سبب له ذلك ألم نفسي ، أخبرته بأن عليه أن يهتم بنفسه كثيرا ، وأن يتجاوز الأمر ، سألني عن سفري إلى العراق قلت له مازحة ربما سأبقى هنا للأبد ، كتم صوته وقال لي : لا ،يا دارين ستعودين عما قريب أعدك بذلك وسأجلس معك في الجامعة عما قريب ، سألته عن وظيفته الجديدة فقال بأنه تم طرده من العمل بسبب الغياب المتتالي والمتكرر ، حزنت كثيرا عندما سمعت الخبر لكنني أقنعته بأن عليه أن يكون بخير لأجل نفسه .

كنت سأتصل بزوجته السابقة إلينا وأطلب منها أن تهتم به قليلا لكنني عرفت بأنها سافرت مع حبيبها جون والذي تعرفت عليه أثناء سفرها إلى كندا .

شعرت بالأسف عليه ولعدم وجودي إلى جانبه ، لقد تذكرت كم كان رائعا معي حين سافرنا إلى الباكستان معا ، بقيت معه على الهاتف حتى فتح ستائر البيت وأخرج النفايات من المنزل ، ووضع ملابسه في الغسالة ، ثم تركته ليستجمم ويعيد النشاط إلى جسمه .

طرقت منال الباب فأشرت إليها لتدخل الغرفة ، فقد أنهيت مكالمتي مع أريان، قلت لها : إن الدكتور صارم معي ، كثيرا فضحكت وقالت لي : ماذا تتوقعي منه ، إنه طبيب ويمارس عمله ثم أردفت قائلة لكنني رأيت عيونه كيف تنظران إليكِ !!

ضحكت بخجل وقلت لها ربما ذلك ،عاد أريان يتصل بي قلت له : كيف حالك ؟! فقال لي : بخير .

بقيت على الهاتف معه حتى أعد الطعام ثم سألني فجأة لماذا لم تقبلي الزواج بي ؟! سكتُ قليلا وقلت له دعنا لا نتحدث بهذا الأمر ، أنا فقط صديقتك فقال

لي : مثلما تريدين ، تنهد قليلا وقال لي بعدها شكرا يا دارين ، قلت له لا داعي لتشكرني، بعدها قال لي أتصدقي لأول مرة أطهو المعكرونة بطريقة رائعة ، قلت له مازحة نعم أنا أعرف كيف كنت تطهو!! فضحك كثيرا ، حين سمعت صوت ضحكاته تأكدت بأنه أصبح بخير ، عدت اسأله هل رتبت غرفتك جيدا فقال لي لقد بقي الغسيل ، قلت له سأعاود الاتصال بك في المساء ، أريدك أن تكون بخير فقال لي : حسنا ، يا صديقتي وداعا ، أقفلت الهاتف وبدأت بتحضير برنامجي للدراسة ، لم يكن دافعي الشهادة فأنا قد درست في الجامعة الأمريكية في ألاباما ، لكن منذ قدومي إلى هنا وأنا أشعر بأنني أجهل الكثير من الأمور وبأنه ينقصني الكثير .

حين بدأت بالتعرف على بغداد لأول مرة كانت جميلة وعريقة يمتاز أهلها بالكرم والحب وحسن الضيافة .

في أول أسبوع لي كان نهاية شهر أكتوبر تمت دعوتي لحفل زفاف لأحد الجيران كان من دواعي السرور أن أقبل دعوتهم ، أتذكر ليلة الحناء كانت الصالة تمتلئ بالنساء، تجلس العروس في المنتصف وحولها النساء يحملن صواني الحناء والحلو والشوكولاته والشموع ، تغنى الأغاني الشعبية لها ثم بعدها يتم وضع الحناء على يديها ، تم وضع الحناء على يدي ، قالت لي أحد النساء هذا فال حسن لكِ يا ابنتي ، ابتسمت لها ولم أفكر بالأمر فقد كانت فكرة الزواج بعيدة جدا عن مخيلتي فكل اهتمامي بالسفر والدراسة كنت بحاجة للوصول إلى مكانة مرموقة ، لذلك حاولت بكل جهدي الحصول على أي معرفة وأي معلومة تجعلني أضع نفسي على الطريق الصحيح في مجال الهندسة .

كانت تلفت انتباهي بناء الشوارع والبيوت العتيقة والمساجد .....

"الكاظمية المقدسة "

ذهبت إلى زيارة الدكتور عمار الجصاني في الكاظمية
المقدسة كانت ساحة قريش خالية من السكان
والهدوء قد عمّ المكان ، أثار استغرابي الأمر دخلت
إلى العيادة وانتظرت خروج المريض من عنده ،

سألته عن سبب الهدوء في المنطقة فقال لي : هنالك مباراة بين الأردن والعراق .

أقفل عيادته وذهبنا إلى مطعم المثنى بالقرب من العيادة قال لي بأنه يتناول الطعام كل يوم في هذا المطعم ، رحب بنا صاحب المطعم قال لي : سوف تتذوقي أطيب برياني في العالم ، قلت له : سأجرب ذلك ، نظرت إلى الدكتور فقلت له لقد تذوقت البرياني في الباكستان وكان طعمه لا ينسى ، رفع حاجبه مستغربا هل زرتِ الباكستان؟!

قلت له : بعد دراستي في أمريكا سافرت إلى الباكستان مع دفعة مع الطلاب من أجل الدراسة والعمل التطوعي ، لقد كانت فترة ليست طويلة لكنها لا تنسى في حياتي ، قلت له لقد تذوقت البرياني في مطعم حيدر آباد أتمنى أن نسافر معا إلى الباكستان ، نظر إليّ وهمم قائلا لا أعتقد يا دارين بأن بمقدوري السفر خارج العراق ، لا أحب الغربة أبدا ، قاطعته

لكن مع منْ نحب لا نشعر بالغربة ، نظر إليّ وقال صدقتِ ، أكملي طعامكِ الآن قلت له : أجل .

أمسكت هاتفي وبدأت أبحث في الصور عن صوري في الباكستان ، كان ينظر باستغراب شديد ، قلت له مازحة لست زها حديد ليحاربها العرب لأنني فتاة فضحك على كلامي .

جاء صاحب المطعم ليتأكد بأن كل شئ على ما يرام ، فقلت له : شكرا لكم ، كان كل شئ رائع ثم أردت قائلة له لقد عرفت السر في سبب اختيار الدكتور مطعمكم ليأكل فيه يوميا ، ضحك وقال لي الدكتور صديق وأخ غالي على قلوبنا ، لقد سررت من كونه شخص يحترمه الجميع ويقدره كل من يعرفه .

بعد أن خرجنا من المطعم قلت له لم يأخذوا منا المال ، فقال لي : نعم لقد اعتبر الطعام على حسابهم ، ضيافة لكِ يا دارين ، قلت له إن المدينة أهل كرم وسخاء فقال لي أجل يا صغيرتي .

ركبت السيارة لنذهب إلى المتحف البغدادي قال لي أتعرفي ما الفرق بين الدول المتقدمة وهنا فقلت له ماذا ؟! فقال لي : إنهم يعملون المستحيل لتوفير فرص العمل للمواطنين ، قاطعت كلامه لكنهم أيضا يعانون من سوء الموازنة كما أن هنالك فقر كبير كما هنا ، نظر إليّ ثم قال لي في الصين يتم بناء مصنع في كل حي ليتم تشغيل أبنائه أما هنا فنقوم ببناء المساجد لنناقش ونتشاور بأمور الدين .

هنالك خطوات بسيطة لو استطعنا أن نغيرها لأصبح كل شئ بخير ، قلت له نعم ، هنالك وجهات نظر أقرب للصواب ولحياة أفضل .

قلت له صاحب المطعم جعلني أتذكر الطعام في الباكستان ، حيث أن الطعام يتم طهيه في الشوارع شهير جدا ، قال لي : إن ذهبت إلى هناك ماذا سيقدمون لي ؟! قلت له جميع أنواع الطعام والبرياني الشهير باللحم والبطاطا الحلوة ضحك متعجبا

البطاطا؟! فقلت له : إنها تعتبر من أشهر ما يتم تقديمه حيث يقدمونها مع المسالا وتضاف عليها القليل من الليمون والبهارات لكن طعمها رائع جدا ، البهارات في الباكستان طعمها ليس له مثيل في العالم كله .

المتحف البغدادي...

وصلنا المدرسة المستنصرية والتي تقع قريبة من ضفاف نهر دجلة ومن ثم المتحف البغدادي، كان هنالك الكثير من السياح العراقيين وغيرهم من الأكراد والتركمان والعرب والأجانب ، وصلنا المتحف فكان استقبالهم لطيف ورائع ، أخذنا الدليل السياحي جولة في داخله بعدها قال له الدكتور : أنا سأكمل

معها يمكنك الذهاب ، فنظر إلينا وقال مثلما تحبون وغادر .

كانت هنالك العديد من اللوحات الفنية القديمة والحديثة والتي تحكي تاريخ بغداد كتب عليها أسماء أصحابها حافظ الدروبي، فرح عبو وغيرهم حينها قال لي الدكتور بأنهم أشهر رسامين في تاريخ بغداد ، بعدها أخذني لنرى مشاهد تمثيلية كان من بينها تمثال بائع الأطعمة ومشهد مقهى بغداد ومشهد عروس القاسم وقفنا عنده قليلا " مشهد عروس القاسم وهو من التراث الحسيني كونه حقيقة حدثت في واقعة الطف العريس هو القاسم ابن الإمام حسن والعروس هي سكينة بضعة الإمام حسن عليهما السلام حيث آزر عمه الحسين في معركة الطف وقاتل حيث استشهد ونال شرف الشهادة "

نظر إليّ الدكتور وقال لي : لماذا تبدين حزينة يا دارين ؟! قلت له لا أحب المشاهد الحزينة .....

أخذني إلى مشهد آخر قال لي سأجعلك ترين البيت البغدادي " الكعدة العصرية " مشهد يجسد العائلة البغدادية وهي تجتمع لشرب الشاي المخمر على الفحم مع الكعك داخل الفناء البغدادي ، قلت له : ما أجمل ذلك ، ما رأيك أن نشرب الشاي معا فقال لي : مثلما تريدين .

نظرت إلى مشهد آخر أثار إعجابي كريات الصوف الملون وعنده الحائك يجلس عند آلة لتدير الخيوط وجومة لصناعة البسط ، قلت له لقد رأيت ذلك في الباكستان وخاصة الأماكن في الفقيرة .

خرجنا من المتحف البغدادي وصلنا ضفاف نهر دجلة قال لي لنركب القارب فقلت له اعذرني لا أحب المياه ، أخاف من ذلك ، أشعر دوما بأنني سأغرق ، ضحك قليلا وقال لي لنمشي معا اذن ، الجو رائع .....

سرنا معا ، نسمات الهواء جميلة والشمس قد بدأت بالمغيب، قلت له : أتصدق لقد وقعت في غرام بغداد فقال لي : ومن لا يقع في غرامها؟!

أمسك بيدي وكان يريد أن يخبرني بشئ لكن قاطعه اتصال أريان بي قلت له : دقيقة واحدة فقال لي : على راحتك .

أخذت أتحدث مع أريان على الهاتف كان يخبرني بأنه قدم على وظيفة بأكثر من مكان لكنه وجد في النهاية وظيفة ليست كما يريد لكنها مؤقتة وتلزمه في الوقت الحالي ، ضحكت بسخرية عليه قلت له ستعلن افلاسك من الآن فصاعدا فقال لي لا ،سأعود إلى الباكستان، قلت له : رخيصة جدا فقال لي : لقد أحببتها حتى الطعام مجاني هناك، قلت له لنتكلم لاحقا ، أنا في الخارج فقال لي مع من؟! فأخفظت صوتي وقلت له مع الدكتور عمار فقال لي سعودي إلى أمريكا يا دارين وسنعود معا إلى الباكستان،

فقلت له : سأقفل الخط سنتكلم لاحقا ، لقد احمر وجهي خجلا فقد تكلمت معه كثيرا والدكتور يقف بانتظاري ، عدت أسير بجانبه قلت له : أسفة فقال لي : لا بأس ، لنعد إلى المنزل فقلت له مثلما تريد.

ركبنا السيارة ولم نتحدث بأي كلمة ، وحين وصلنا المنزل قال لي : وداعا ، لم يكن وداعه ككل مرة ، لقد لعبت الغيرة دورا كبيرا في علاقتنا .....

دخلت المنزل فكانت خالتي زينة تحضر العشاء في المطبخ ، سألتني عن يومي فأخبرتها أنه كان جميلا وأخبرتها عن الدكتور عمار أيعقل بأنه قد غار عليّ ؟! فقالت لي لا أظن ذلك .

" العشق القديم "

خالتي زينة من النساء اللواتي يفضلن الروتين في حياتهن ، رغم ان ابنتها منال تقضي وقت طويل في الخارج متنقلة بين العمل والدراسة إلا أنها لا تحب الخروج من المنزل ، تعيد ترتيبه كل يوم بالشكل ذاته

وبالطريقة نفسها ، لا تشعر بالملل أبدا وحين اسألها عن السبب تقول لي بأنها اعتادت على ذلك ، بل تجد سعادتها هنا بين جدران المنزل .

قلن لها أريد التحدث معك فخلعت مريول المطبخ وجلست مقابلي على الطاولة ، قلت لها بقيت قصتك مع عمي عدنان مجهولة ؟! فأزاحت نظرها عني وقالت لي لا أريد العودة إلى الماضي ، فقلت لها أرجوكِ لا تهربي أكثر ، سألتني بنبرة حزن وكيف حاله الآن ؟! فقلت لها لقد تجاوز مرحلة الخطر لكنه تحت المراقبة ، قالت لي سيشفى بإذن الله .....

قالت لي : في التسعينات عاشت العراق ظروف صعبة ، حين اجتاحت القوات الأمريكية بغداد ، كنت معلمة في ذلك الوقت وكنت في الخامس والعشرين من عمري ، كان من الصعب إكمال مهمتي كمعلمة ، في ذلك الوقت كان هنالك العديد من الصحفيين الذين

جاؤوا إلى العراق لنقل الصورة ومجريات الأحداث إلى العالم .

تعرفت عليه أثناء مغادرتي من المدرسة كنت بالقرب من سينما الرشيد الموجودة في شارع الرشيد فقلت لها لقد ذهبت مع منال إلى هناك الأسبوع الماضي ، نظرت إليّ وقالت لي لقد كنت بحاجة إلى سيارة أجرة وقفت كثيرا ولم أجد أحد ليوصلني إلى المنزل ، حتى جاءت سيارة سوداء وقفت بالقرب مني ،أحرج سائقها رأسه من النافذة وقال لي اركبي سأوصلك إلى المنزل ، قال لي الوضع لا يحتمل أن تبقي هنا ، عليكِ أن تعودي قبل أن يصيبك أي مكروه ، ركبت معه في السيارة قال لي بأنه صحفي فقلت له وأنا معلمة ، تحدثنا معا عن الأوضاع ، أخبرته أن المدارس ستتوقف عن تقديم الخدمة إن بقيت الأوضاع الصعبة بهذا الشكل .

في ذلك اليوم اضطر للبقاء في منزلنا رغم أن أخي قاسم رفض ذلك لكن والدي اعتبره ضيف عندنا ، بعدها تعرفت عليه أكثر فأكثر لقد أحببته ، لقد أعجبني كثيرا حتى نمطه وأسلوبه بالعيش كانت تلفتني ، لم يكن الأمر سهلا أن اتزوج منه فقد رفضه أخي وجدي وعمي وجميع أفراد العائلة ، لقد وثقت به كثيرا لدرجة أنني تحديت به الأهل والعالم كله ، تزوجته رغم كل ذلك الرفض .

قلت لها وماذا بعد فقالت لي : لقد عرفت بعد كتب الكتاب بأنني زوجته الثانية ، نعم لقد كان متزوج وترك زوجته في مصر ، ومع ذلك بقيت إلى جواره.

قلت لها : كان صعب عليكِ الخذلان فقالت لي : أجل إن أول حب فتاة المرأة لا ينسى يبقى عالقا للأبد ....أتصدقي كان له مكانة أخرى ، كان يمارس عمله كصحفي وأنا معلمة ، كان يخبرني كل يوم عن المشاهد التي يراها وأنا أخبره عن عملي في تلك

الظروف الصعبة ، أتذكر كيف كان الصباح حين نودع بعضنا كان يقول لي أستودعكِ الله يا زينة وأنا أقول له في أمان الله ، كان يخشى أن يصيبني مكروه ، لكن لا أعلم كيف فرطت بي يداه ؟! كيف غفل عني واستطاع أن يرحل بعيدا دون وداع ؟!

نظرت إليها وقلت لها أكملي ماذا حصل ؟! تنهدت قائلة سأخبرك ....

بعد مرور عام وانتهاء الحرب في العراق ، كنت أبحث عن طبيب ناجح لنعرف سبب عدم الحمل لدي ، كان في الكاظمية المقدسة طبيب ماهر وذو خبرة أخبرنا بأن لدينا عقم مجهول ، أنا عقيم وهو عقيم شعرت بأن هنالك شيء ما خذلنا ....خذلنا كثيرا .....

بداية الصدمات كانت تلك الكلمة أنني عقيم لن أنجب أبدا ، تألمت كثيرا وبكيت كثيرا ، انعزلت لفترة من الوقت ، اطفأت ضوء الغرفة وبقيت لوحدي ، كنت

أشعر بأن الدنيا بدأت تلومني على حبي له ، لكنها كانت قاسية معي بشكل لا يمكن وصفه .....

حرمت أن أكون أم لأولاده ، أن نكون كأي زوجين في هذا العالم .....

أما عندما كان يعود إلى المنزل نجلس سويا على مائدة الطعام يتحدث معي كالسابق يحاول التخفيف عني ، لكن في أحد الأيام كان الأمر مختلف فقد أخبرني بأن عليه السفر من أجل العمل وقال لي بأنني سأسافر معه لكن بحسب الجنسية العراقية كان من الصعب السفر إلى مكان آخر فقال لي إنه سيسافر وحده وسيقوم بتجهيزات أوراق السفر الخاصة بي .....

قلت لها وماذا حصل بعدها فقالت لي بعدها لم يحصل شئ ، انتهى كل شئ .....

لم يكن هنالك أي وسيلة للتواصل معه ، أخبرتني صديقتي بأن هنالك طرد بريدي باسمي سررت كثيرا

كنت أعتقد بأنها أوراق سفري فذهبت إلى البريد ، شئ ما قبض أنفاسي ، أخذت الطرد وفتحته كنت أتوقع بأنها أوراق سفري لكنها كانت ورقة الطلاق

.....

سقطت على الأرض ، غبت عن الوعي ، ورقة غيرت لي مجرى حياتي ، لقد تدمرت نفسيتي بعدها

.....

نظرت إليها وقلت لها إن ذلك محزن كيف فرط بك ؟!
فقالت لي : لقد دفعت ثمن ذلك الحب عمرا كاملا

.....

قلت لها : أتصدقي بأن عمي عدنان عاش وحيدا ، لم تشعر بالشفقة عليه فقد قالت لي هو من اختار الوحدة بنفسه ، قلت لها ربما عاد إليها لسبب ما فقالت لي مهما كانت تلك الأسباب فلم أسامحه.

اليوم عرفت لماذا قضى عمي عدنان حياته وحيدا ومنعزلا عن العالم ، لم يكن ذلك بسبب العقم إنما بسبب خسارته لخالتي زينة .

عادت منال إلى المنزل كنا قد أنهينا تجهيز العشاء وجلسنا جميعا على المائدة ، نظرت إلينا فقالت أشعر بأن الجو ليس على ما يرام ، هل هنالك أي شئ ؟! رددت عليها لا شئ لكن عدنا للماضي قليلا فقالت وأنا أريد معرفة القصة فقلت لها سأخبرك لاحقا ، فسكتت وقالت لماذا لا نذهب إلى سينما الزوراء هنالك فلم جديد فقلت لها لنذهب جميعنا ومع خالتي زينة ، نظرت إليها وقلت لها ستأتي معنا لا مجال للتهرب فقالت لي نعم سأذهب معكن .....

في المساء بعد الحادية عشر كنت لا أزال مستيقظة أفكر بقصة خالتي زينة وعمي عدنان ، كلمة أنا عقيم وهو عقيم بقيت تدق في مسامعي ، لماذا فعل ذلك عمي ؟! لماذا تخلى عنها ؟!

لقد حزنت كثيرا عند سماعي لقصتها لكن بقيت القصة ناقصة لم أعرف رأي عمي عدنان بها ، اتصلت بأمي لأطمئن عليها كانت تحضر الفطور مع جدتي هنالك ٨ ساعات تقريبا فرق توقيت ، سمعت صوت ضحكاتهم لقد اشتقت إليهم كثيرا ، سألت جدتي عن عمي عدنان فقالت لي بأنه بخير ، بعدها أخذت أمي الهاتف منها لتتحدث معي قلت لها أريد التحدث معك على انفراد ، قالت لي هل هنالك أي مكروه ؟! فقلت لها لا ، أريد اخبارك بشئ ....

بقيت معها على الهاتف حتى صعدت غرفتها ، أخبرتها عن خالتي زينة زوجة عمي عدنان فاثار استغرابها قالت لي بأنها لا تعرف بأن عمي كان متزوج في العراق ، فقلت لها لا تخبري أحد حتى لا تحدث مشكلة فقالت لي لا تقلقي يا دارين وأقفلت الهاتف .

نظرت إلى كتبي الدراسية بعدها وقفت عند النافذة اتأمل البيوت العتيقة وعامة الليل ، لم أستطع التركيز في الدراسة ، شعرت بالقلق لشئ لا أعرفه .

أيعقل أنني أتيت إلى المدينة لأعرف قصة الحب هذه أم ماذا ؟!

نظرت إلى صور الدكتور عمار وهو يحمل الببغاء في يديه ،أرسلت له رسالة الببغاء جميل فرد عليّ نعم يقول مرحبا ، فضحكت وقلت له أريده أن يقول لي مرحبا فأرسل لي فيديو وهو يلقن الببغاء مرحبا يا دارين والببغاء يقول لي مرحبا " مرحبا " لقد أحببته كثيرا .

لغة الحب تفهمها أدق الكائنات على هذه الأرض ، لغة يتقنها من كان في قلبه بذرة خير للآخرين .

الحب هو أساس الحياة ، منبع الأمان والملاجئ الدافئة في فصول الشتاء القاسية ، نذهب إلى من

نحب نتكأ ونستند على أكتافهم ، تحتوينا أيديهم بكل صدق .

الحب هو الشئ الوحيد الذي يضيف الألوان إلى حياتنا ، يجعلنا كالأطفال نحاول التحليق لمعانقة السماء، يعطينا السعادة ويبث الأمل والضياء في طريقنا.

" باكستان "

" دارين "

سافرت إلى الباكستان لأول مرة مع زملائي في الجامعة أريان وايريسباخ وكلاوديا ومريم وجون وغيرهم ممن سافروا معنا من أجل الأعمال التطوعية لدعم التعليم في المناطق النائية والفقيرة، نزلنا في فندق سيرينا في العاصمة اسلام أباد كان الفندق قريب جدا من نادي اسلام أباد وقريب من بحيرة راوال .تمتاز الباكستان بارتفاع درجات الحرارة في الصيف وفي الشتاء يكون المناخ معتدل ليس منخفض كما في أوروبا وأمريكا .

المكان رائع جدا، تذهلك الباكستان حين تمكث بها وتبدأ بالتعرف عليها ، اطلالات التلال والجبال مدهشة لقد اختار أريان فندق سيرينا لأنه أفضل الفنادق في المنطقة ، إنني أثق به كثيرا .

نظرت من نافذة الغرفة كانت التلال تحيط بالمدينة من جميع النواحي، تشعر وكأنك في مكان مرتفع جدا

جدا ، جاء اريان يقف إلى جانبي فقال لي إن مدينة اسلام أباد تقع على ارتفاع ٤٠٠ متر فوق هضبة بوتوهار، قلت له يا إلهي مرتفع جدا ، فقال لي أنظري إلى هناك هذه تلال مارجالا وانظري إلى الجانب الآخر إنها سفح تلال جبال الهمالايا، المنظر يثير الدهشة في قلب الإنسان ، جميع التلال مكسوة بالخضرة.

قال لي أريان : لقد زرت الباكستان كثيرا ، نظرت إليه بتعجب حقا !! فقال لي أجل فأنا باكستاني الأصل ، نظرت إليه بتعجب أنت باكستاني فقال لي أجل أصولي باكستانية لكنني أعيش في أمريكا وأحمل الجنسية الأمريكية فقلت له كم ذلك مذهل أن تسافر وتجوب أرجاء العالم فقال لي أجل صحيح لكن الباكستان دولة مختلفة ستقعي في غرامها، ضحكت وقلت له أظن بأنني سأقع في غرامها .

سمعت صوت الأذان فقال لي إن فئة كبيرة من المسلمين تعيش في الباكستان، قلت له هذا رائع سأصلي إذن في مساجدها ، بعدها استأذن ليغادر وقال بأن عليه بعض الأعمال فقلت له مثلما تريد .

غادر الغرفة وبقيت أنظر إلى التلال المكسوة بالخضرة وسفح جبال الهمالايا حتى جاء المضيف ومعه طعام الغذاء وضعه على الطاولة وتشكرته وغادر .

بدلت ملابسي ونمت قليلا ، بعدها أيقظني صوت دقات الباب تذكرت بأن أريان قال لي بأنه سيعود بعد انتهاء عمله ، فتحت له الباب فقال لي لم تأكل بعد فقلت له نمت قليلا ، كان الأكل عبارة عن بكوره"، وهي مقالٍ من الخضروات والدقيق، و"تشات الفواكه"، وهي سلطة فواكه يضاف إليها الفلفل الحار والملح والتوابل، والبرياني ، قلت له لنأكل معا فقال لي : لا أريد لقد أكلت في الخارج .

سألته ماذا كان يعمل فقال بأنه كان يجهز لفتح المدرسة التي سنعمل بها ، أخبرته بأن عمي عدنان قد تبرع بمبلغ كبير لدعم التعليم هنا فقال لي بأنه سيتخدمه في الوقت المناسب وللحاجة .

بدأت بتناول الطعام كان طعمه لا يصدق ، طيب جدا وشهي ، البهارات والتوابل المستخدمة طعمها طيب ولذيذ .

غادر أريان الغرفة وأكملت تناول طعامي بعدها وضعت ملابسي في دولاب الملابس ، ثم أمسكت بهاتفي وبدأت بقراءة رسائل الماسنجر، لقد كان الأصدقاء يلتقطون صورا لهم في مطعم الفندق أما جون فقد بدأ بجولته في المنطقة أرسل لي صورة له وهو يلعب مع الأطفال وقال لي بأنها لعبة الكريكت وهي أشهر لعبة في الباكستان، حيث يتم لعبها في كل مكان وفي الشارع ، بعدها أرسل لي صورة لطفل وقال لي اسمه إياز خان وهو أشهر لاعب بين

الأطفال، شعره أسود ناعم وكثيف ويغطي مقدمة جبينه بشكل دائري وبشرته تميل للسمراء، كان جميلا جدا .....

حين نظرت إلى صور الأطفال شعرت بالسعادة بشكل كبير ، كما أنني عثرت على المكان الذي أجد فيه ما أحب ، المساجد وضحكت الأطفال والطبيعة الساحرة والطعام اللذيذ .

" بحيرة راوال / اسلام أباد "

في المساء جهزنا أنفسنا لنذهب إلى بحيرة راوال في اسلام أباد إنها قريبة جدا من فندق سيرينا ، كمل أن أريان أخبرني بأن المكان سيثير الدهشة في قلوبنا .

حين وصلنا المكان نزلنا من السيارات ، أخذ كل واحد ينظر إلى الآخر باستغراب وتعجب ، إنها أجمل منظر طبيعي قد يراه الإنسان ، تشعر وكأنك نقطة في هذا العالم الواسع والكبير .

قال لي جون سأقترب أكثر من المياه وذهبت معه كلوديا ومريم ، بقيت مع أريان اتأمل المكان ، لون المياه أخضر بسبب الخضار الذي يغطي المنطقة ،

اقترح جون بأن نمكث الليلة هنا لكن أريان ترك القرار لي ، لم أعارض ذلك ، لكنني قلت لهم ماذا إن حل الظلام فأخذوا يضحكون على ما أقوله ، قلت لهم أخاف الظلام والماء ، بعدها قبلت ذلك من أجلهم .

شعرت بأننا نقطة في هذا العالم الكبير والواسع ، كم شعرت بأننا مثل الأقزام هنا ، قلت لأريان سنبقى هنا بعيدين عن الماء فقال لي سأبقى معكِ أينما تكوني أكن ، نظرت إلى النجوم البراقة في السماء قلت له إنها تبدو لامعة أكثر من أي مكان آخر ، هدوء المكان بعد غروب الشمس يعطي جمالا أكثر وسكينة في قلب الإنسان .

نظر إلى البحيرة أريان ثم قال لي إنها خزان ماء يوفر احتياجات المياه لمدينتي روالبندي وإسلام أباد قلت له إنها كبيرة جدا مدهشة بعدها قال لي إنها تقع في منعزل بني جالا وتلال مارجالا لذلك تعتبر أفضل بحيرة للتنزه وصيد الأسماك والتزلج وركوب القوارب ، قلت له هل سنصاد السمك؟! فقال لي نعم لكن في الصباح .

زادت برودة الجو وانخفضت درجة الحرارة أصبحت الساعة بعد منتصف الليل ، جلسنا جميعا على شكل

دائرة ، أشعلت كلوديا وجون الحطب ، بدأنا باللعب والضحك .

أحضر أريان معطفه من السيارة وقال لي ارتديه فقد برد الجو وجلس بجانبي ، كانت الليلة رائعة وجميع الأصدقاء سعداء بعدها ذهب جون وأريان للسير معا وبقيت مع مريم وكلوديا وحين عادوا كان أريان قد شرب الكحول فصاح بصوت عالي دون أن يشعر بنفسه سيبقى شئ ينقصني في حياتي ، فقالت له كلوديا أهدأ يا أريان ما بك ؟! ثم عاد يصرخ بصوت عالي ستبقى حياتي ناقصة يا دارين !!

لقد بدأ يتخبط من الشرب ولم يشعر بنفسه ، لقد شعرت بالاحراج منه ، بعدها قال له جون وهو يمسك به لنعد إلى الفندق قبل أن يستاء وضعه أكثر ، قالت لي كلوديا أنتِ تتعبين الرجل !! فردت عليها مريم : اتركي دارين على راحتها ، الأمر ليس بالإجبار .

عدنا إلى الفندق بعد أن غيرنا خطتنا في التخييم خارجا ، لقد أتعبني أريان لقد أخبرته كثيرا بأنه لا يمكن أن نتزوج ، ولا يمكن ذلك رغم أنني أقدر صداقتنا إلا أن هنالك اختلافات كبيرة بيننا ولا يمكن تجاوزها .

في الصباح ارتديت فستانا أخضر اللون ووضعت شالا على شعري ونزلت إلى مطعم الفندق لتناول الفطور وجدت أريان ومريم ارتبكت ولم أعرف ماذا سأقول، سلمت عليهم فأعتذر أريان على ما حدث بالأمس فقلت له لقد اعتدت عليك .

كان يتجاهلني بينما يتكلم مع مريم بعدها قال لي سآخذك إلى مسجد فيصل شاه فقلت له هل هذا صلح بيننا ؟ ! فقال لي لا ليس صلح ، قلت له : إنك تعرف رأيي جيدا ، فقال لي : سأجعلك تغيرين رأيك .

تناولنا الفطور بعدها ذهبنا إلى سوق الحرية اشتريت سلوار وهو قميص طويل وبنطالون واسع وأريان

اشترى سلوار له أصبحنا نبدو وكأننا باكستانيين ، فقال لي لقد أخبرتك بأنني باكستاني الأصل ، نظر إلي وقال لي تبدو جميلة فقلت له وأنت كذلك .

ذهبنا إلى مسجد فيصل شاه والذي يقع على سفح تلال مارجالا ، حين وصلنا المسجد لم أكن أتوقعه بهذا الحجم الكبير ، فقال لي أريان إنه أكبر المساجد الأسيوية ، وصلنا عند أذان الظهر قلت له لنصلي فقال لي لا أعرف الصلاة ، فقلت له : سأعلمك ذلك .

تصميم المسجد مميز وعصري مصمم بجدران مائلة تظهر من داخل المسجد وخارجه على شكل خيمة صحراوية فيها المآذن مرتفعة جدا يصل طولها إلى ٨٨ متر ، لم يسبق لي أن دخلت مسجدا بهذا الحجم ، توضأت وصليت ثم دعوت الله أن يرزقني التوفيق والسعادة في حياتي ، وحين خرجنا من المسجد كانت امرأة تقف عند الباب تسأل الناس فأعطاها أريان النقود .

رغم أنها دولة غنية بالثروات الطبيعية والمعادن إلا أن فيها الكثير من الفقراء والمحتاجين .

التقطنا الصور ثم اتجهنا إلى مدينة لاهور القديمة ،كانت مكتظة بالسكان والبيوت المتلاصقة ، هنالك القليل من السيارات فهم يستخدمون التكتوك في التنقل بين الزقاق والشوارع ، نظرت إلى نهاية الطريق كانت المياه تملئ الشارع وفي الأعلى بين أسطح البيوت سرب الحمام ، وكان هنالك أطفال يلعبون الكريكت، نادى عليهم أريان وطلب منهم أن يلعب معهم والفائز سيعطيه النقود ، وقفت بجانب منزل سيدة تطل من الباب فاجتمع الكثير من الجيران يرون اللعبة ، لعب معهم الكريكت فقمت بالتقاط الصور لهم ، فاز طفل اسمه علي خان أعطيناهم النقود ثم مضينا في طريقنا إلى مطعم حيدر أباد ، جلسنا على طاولات خشبية مدورة لتناول البرياني ، لم يأخذوا منا النقود ذلك حسن الضيافة عندهم .

حين قال أطيب برياني في هذا العالم كان يقصدها بكل معنى ، نعم لقد تذوقت أطيب برياني في العالم ، أوروبا كلها لا تملك نكهة البهارات الموجودة في الباكستان، كان أريان يأكل بيديه فقال لي إن أردتِ تذوقه بشكل جيد فاتركي الملعقة جانبا وأكملي بيديكِ .

نظرت إليه وقلت له هل لاحظت شئ غريب فقال لي لا لم انتبه فقلت له : أنظر إلى الرجل والمرأة أمامنا إنهم يتشاجران بشأن زواج ابنتهم اسمع ذلك ، انصتنا إليهم كانت المرأة تقول لزوجها الفتاة صغيرة لا يمكن أن نزوجها الآن وكان يقاطعها ويمنع كلامها ويقول لها ستتزوج وسنأخذ المال هذا ما أقوله لكِ ، قام أريان واتجه إليهم وبدأ يتحدث معهم لا يمكن إجبار ابنتك على الزواج ، علا صوت الرجل وقال له : من أنت ؟! ولماذا تتدخل في ما لا يعنيك ، قال له بصوت أعلى ستدمر حياة ابنتك اسمع نصيحة زوجتك اتركها تكمل دراستها ، بدأ الأمر يزداد عناد

فقلت له لنرحل من هنا يا أريان ، أمسك بيده وقلت له لنرحل ، أعطاهم رقم هاتفه وعنوانه وقال له إن أردت العمل سأساعدك لكن لا تجعل ابنتك ضحية أفكارك ، لا ترمي بابنتك على الهاوية بعدها غادرنا المكان .

ركبت السيارة وقلت له لم أتوقع أن تذهب إليهم فقال لي : لماذا ؟! فقلت له : إن هنا الكثير من الفقراء فقال لي : هنالك تعليم ، عليهم بالتعليم لرفع ثقافتهم ولمنع هذه الظاهرة ، زواج القاصرات مدمر جدا بعدها أردف قائلا أنا وفي هذا العمر لا أظن بأنني قادر على الزواج فكيف هي ؟! ضحكت من كلامه فقلت له : أجل أنت لم تنضج بعد فنظر إليّ وقال : واذا نضجت هل سأتزوجك ، بعدها ضحكنا وأكملنا طريقنا .

قال لي هنا ستجدين زواج القاصرات منتشر بكثرة لأنهم يتخلصون من تكاليف الزواج بتزويجها لرجل

يفوقها بالعمر ،أما باقي النساء فقد يكبرن بالعمر دون زواج وذلك لأن المرأة من تقوم بدفع المهر للزوج ، قلت له : إذن تزوج من باكستانية !! فقال لي : لا أريدك أنتِ زوجتي وأم أولادي ورفيقة عمري ، لم أتكلم بكلمة فغضب مني وقال لي : سنعود إلى الفندق لقد تعبت اليوم ، ضحكت فقلت له : هل ستدرس الأولاد ؟! وهل ستتعلم الطهو ؟! أوقف سيارته وقال لي من أجلك سأتعلم كل شئ .

"فندق سيرينا"

في الصباح عدت أسمع صوت زقزقة العصافير ، أشعة الشمس تذكرني ببداية الربيع ، الهواء بين بارد ودافئ، يعلن الصباح يوما جديدا ما زال هنالك دقات في القلب وما زال هنالك نفس في الروح ، الحياة بدورتها وقانونها ينتهي الليل ليبدأ الصباح لكل تناغمه وموسيقته.

الموسيقى التي يبحث عنها الجميع يمكن إيجادها في أيامنا وفصولنا والسنوات من عمرنا ، نغمات المطر حين يرتطم بالأرض ، تفتح أوراق الشجر ، خطوات الأقدام حين تذهب إلى العمل وإلى المدارس ، رغيف الخبز وبائعي الكعك وكوب الشاي وفنجان القهوة كلها تمثل الحياة .

ذهبت مع كلوديا ومريم وجون إلى سد خانبور قال لي جون بأنه يريد تناول السمك الطازج فذهبنا إلى هناك ....

في سد خانبور بإمكانك التزلج وصيد الأسماك وممارسة الكثير من الهوايات ، لم يأتي أريان معنا لقد قرر أن يذهب إلى مكان آخر لكنه لم يتحدث معي ، إنه يأخذ موقفا لمدة من الوقت فبعد أن عدنا من مدينة لاهور القديمة وحصل نقاش بيننا شعرت بأنه غاضب مني .

التقطنا عدة صور فأرسلتها إلى أريان لم يرد علي بعدها أرسل لي رسالة صورة المبنى الذي سنقوم بتدريس الأولاد فيه ، شعرت بأن قلبي يحلق من السعادة ناديت على مريم وجون لأخبرهم بذلك قلت لهم بشأن المبنى ،لقد سعدنا جميعا لأن ثمار جهودنا بدأت تصب على أرض الواقع ، قال ايريسباخ بأن المبنى صغير لكنه في الوقت حالي يقضي الحاجة هكذا أيد رأيه جون ومريم .

ذهب الشباب إلى ممارسة هواية الغوص بينما جلست مع مريم وكلوديا لنناقش المواد الدراسية التي سنقوم بتعليمها.

لقد بدأنا تنفيذ الخطة في إعادة ترميم المدرسة في منطقة لاهور ودعم التعليم فيها ، وذلك للتقليل من المشكلات التي ترمي بالأطفال إلى هاوية الشارع والتسول وعمالة الأطفال .

" بغداد "

" دارين "

رن هاتفي كثيرا ، تركت الكتب على الطاولة وذهبت لأحضره كان المتصل عمي عدنان نظرت إلى خالتي زينة فشعرت بالتوتر استأذنت منها وذهبت إلى الغرفة رددت عليه :

-مرحبا عمي

-أهلا يا دارين ، كيف حالك ؟!

- بخير ، لقد اتصلت بك كثيرا لأتحدث معك في موضوع خاص ،

-ما هو ؟!

- إنه يتعلق بحياتك ، أثار استغرابه فقلت له إنني أقيم حاليا مع والدة صديقتي منال أتعلم من تكون؟! فقال لي : لا ،أخبريني

سكت قليلا وقلت له خالتي زينة زوجتك السابقة ، صدم من كلامي وتلعثم ولم يعرف ماذا سيقول لي ، انقطع صوته فجأة ثم قال لي : زوجتي زينة!!

فقلت له : أجل ، هل تريد أن تقول لي شئ

فقال لي : لا ، كيف حالها ؟! قالها بوجع وغصة

قلت له : بخير ،إنها بخير لكن كيف فرطت بها وكيف تخليت عنها ؟! أيعقل ما فعلته بها ؟!

- لقد كنت مجبرا على ذلك
- أي إجبار ؟!
- هل لديها ابنة ؟! كيف؟!
- لا ، إنها عقيم
- أنا عقيم وهي عقيم
- لقد أحببتها ولم أحب بعدها لكن في تلك الفترة كان عليّ السفر من أجل العمل وتجهيز أوراق سفرها لكنني لم أستطع لقد خيرتني ندين بين أملاكي وبينها .

- أيعقل ذلك ؟! أنت عمي تقول ذلك ؟! لا أصدق ما أسمعه ؟!
- لم أكن واعيا لتلك الخطوة ، حاولت تجهيز أوراقها كان التقدم مستحيل والرجوع مستحيل لم أملك أي خيار آخر
- أنت سرقت عمرها ،أتعرف ذلك ؟!
- أرجوكِ دارين لا تفتحي معي الماضي ،وأنا أيضا ذهب عمري سدى
- هل تعرف أخبارها ؟! هل سألت عنها ؟!
- نعم ، عرفت بأنها تزوجت وسافرت إلى أمريكا، لم يكن لنا نصيب أن نكمل مع بعضنا ، لقد خذلنا القدر وعاند قصة حبنا وفي نفس الوقت حرمنا أن أكون أب وأن تكون هي أم ، لم نلتقي ولم نفترق .....
- أريد منك خدمة يا دارين ؟
- ما هي ؟!
- أريد التحدث معها ، أريد سماع صوتها

- لا يمكن ذلك ، لن تقبل أبدا

توسلني كثيرا حتى يتمكن من الوصول إليها والحديث معها ، سنوات طويلة ولم يلتئم الجرح .

خرجت من الغرفة نظرت إليها وهي تشاهد التلفاز لم أستطع الاقتراب منها ، كان ذلك صعب للغاية قلت لها هذا الهاتف لكِ نظرت إليّ وقالت لي من ؟! قلت لها خذي الهاتف، أمسكت به وقالت مرحبا وسرعان ما أعادته لي قالت لي بنفي لا ،لا أريد سماع صوته .

ارتبكت كثيرا ، أخذت الهاتف وعدت إلى الغرفة قلت له لا تريد سماع صوتك ، قال لي وداعا وأغلق الهاتف دون أن يقول أي كلمة .

عدت إلى خالتي زينة اعتذرت منها وقلت لها أنا أعتذر لكنه كان طلبا مني ذلك ، نظرت إليّ وقالت لي صوته لم يتغير لكنه متعب ، توسعت بؤبؤة عيناي كيف عرفت ذلك من كلمة واحدة .

شعرت بأن قصتهم لم تنتهي بعد فدوما مشاعر الغضب تعني بأن هنالك شعور موجود .

إن عدم إعطاء ردة فعل وعدم اهتمامنا يدل بأن الشخص قد فقد مكانته في قلوبنا ، لكننا حين نغضب فإننا نلوم من نحب بتقصيره معنا في التخلي والبعد والإهمال ، أما الذين لا نحبهم فلا عتاب لهم ولا لوم .

بعثرتني الطرقات جعلتني أسير بسرعة لأصل إلى ما أريد لكنني أجد نفسي عالقة في قصص الآخرين والأماكن والأوقات .

في وقت ما تتغير نظرتك تجاه الأشياء تصبح وكأنك شخص آخر تستطيع التعامل مع كل ما تمر به دون أن تصطدم بأشخاص ومواقف وكأنك تصل لمرحلة من النضج في علاقتك مع الحياة فتتعلم متى تتكلم ومتى تصمت .

في بعض الأحيان تحارب لتعيش كما تريد مختلفا عن الآخرين تجد نفسك في مكان آخر ، بعد أن تصل إلى ما تريد تصبح أحلامك مبدأ شريف لهم وذلك بعد الخيبة والخذلان وتحديات ، تنتصر لأن صاحب المبدأ لا يهزم وقوي الإرادة لا يهزم ولا ينكسر .....

إن كان الحب سيجعلنا سجناء فلماذا لا نتجاوزه ونحكم إغلاق قلوبنا ؟! لماذا لا نعيش من أجل أنفسنا ؟! قد يكون من الصحيح أن ندرب أنفسنا على الفقد والحزن والخيبة حتى لا نتوقف في مكان ما وكما قال محمود درويش على هذه الأرض ما يستحق الحياة .

بدأت بتدوين الملاحظات للدراسة ، إن التصاميم الهندسية تحتاج الكثير من الحب لتبدو عصرية ومميزة ومختلفة عن غيرها ، في كل بلد هنالك

تصاميم معينة توحي ثقافة الشعوب وذوقهم في تلك الفترة .

"شارع الرشيد "

" شارع أبو نؤاس "

في بغداد أقمت صداقات عديدة توسعت دائرة معارفي شعرت بأنني في موطني ، التقيت برجل اسمه خالد عطا علي كان ذلك من حسن حظي بأنني التقيت به ، كنت حين أشعر بأنني أضعت طريقي أذهب إليه هكذا كان رأيي به حين ذهبنا معا إلى محل الحاج زيالة لبيع العصير لقد تذوقت أطيب وأشهر عصير في المنطقة عصير العنب المجفف، قلت له : لم يسبق أن تذوقت عصير العنف المجفف فضحك قائلا : طيب أليس كذلك فقلت له أجل .

بعدها ذهبنا إلى سوق العربي لبيع الملابس في الحيدر خانة كانت رفقته طيبة جدا ، إنه يمثل الرجل العراقي في الطيبة والكرم والأخلاق ، هنالك يتم بيع الملابس وملزمات الحلاقة قال لي :

هنا كانت إصابة الزعيم العراقي عبد الكريم قاسم وهو أول عراقي يحكم العراق من أصل حمورابي، كان يثير تعجبي لشدة حبه للعراق ومعرفته بالتفاصيل الدقيقة فيها ، لقد شعرت بأن الشعب العراقي محب للعراق وتاريخ العراق الأصيل .

قال لي : لقد كنت عسكري في السابق والآن أعمل في القطاع الخاص ، أعرف العراق من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب ، لقد سافرت إلى عدة مدن وتعرفت على سكان العراق والأجانب وأنتِ يا دارين حبيبة العراق .

حين قال لي بأنني حبيبة العراق تراقص قلبي فرحا ، أخذني إلى ساحة القاضي شرقا من شارع الرشيد قال لي بأنه سيرافقني في كل مكان أرغب في التعرف عليه فقلت له وأنا سآخذك رحلة في الباكستان نظر إلي موافقا على ذلك .

قلت له لقد زرت المتحف البغدادي والعتبة المقدسة في الكاظمية وتعرفت على الأماكن والأسواق لكنني كلما تعمقت أكثر شعرت بأنني أجهل الكثير فضحك قائلا : أتصدقي بأن بغداد تشبه مغارة علاء الدين كلما تعمقنا أكثر وجدنا كنوزا أكثر فأكثر .

" تمثال شهريار وشهرزاد في شارع أبو نؤاس"

شارع أبو نؤاس " هو شارع في شرق بغداد في صوب الرصافة محاذ لشرق نهر دجلة ،ممتد بين جسر الجمهورية في منطقة الباب الشرقي والجسر المعلق في منطقة الكرادة الشرقية .

سمي الشارع باسم أبو نؤاس ذكرى لأهم شعراء العصر العباسي الحسن بن هانئ بن الصباح كنيته أبو نؤاس.

"كان هذا الشارع منذ بداية القرن الماضي أحد أهم مناطق السهر والسمر للعراقيين حيث تمتد على طول الشارع المقاهي على شاطئ نهر دجلة، هذه المقاهي المتباينة بين البسيطة والراقية التي يجمعها شيء واحد هو تقديمها وجبة العشاء التقليدية من السمك المشوي (المسكوف) على الطريقة العراقية، مع وجبات أخرى تقليدية وشهية أخرى مثل التكه والكباب والباجة ثم الشاي العراقي السنكين (الثقيل الغامق). كل ذلك على أصوات الأغاني لسفير الأغنية العراقية ناظم الغزالي وكوكب الشرق أم كلثوم.

يوجد في هذا الشارع نصبين أحدهما للشاعر أبو نواس يحمل كأسه بيده صمّمه النحات العراقي

إسماعيل فتاح الترك عام 1972، والآخر لشهرزاد تروي الحكايات لشهريار للنحات العراقي محمد غني حكمت.

أغلق الشارع بعد الغزو الأميركي للعراق عام 2003، وتعرض للإهمال بسبب موقعه المواجه للمقار الحكومية والسفارات الأجنبية في المنطقة الخضراء وسط بغداد، وأعيد افتتاحه عام 2008، وبدأت حملة لإعادة إعماره وتطويره شملت إعادة إكسائه ورفع الكتل الخرسانية والأسلاك الشائكة "

سرت مع صديقي خالد عطا علي في شارع أبو نؤاس ، قال لي بأنه يحب السمك ويفضله فقررنا أن نأكله في هذا الشارع ، فقد قال لي بأن العراقيين في الماضي كانوا يأتون إلى هذا الشارع لتناول السمك والمشي ليلا بين الأشجار على طول الشارع ، ذكرني ذلك في إيطاليا حين زرتها مرة مع عائلتي ،هادئة ومليئة بالسلام .

وصلنا إلى النصب التذكاري للشاعر أبو نؤاس إنه أشهر الشعراء في العصر العباسي قلت له إن النصب التذكارية تجعل الأشخاص عالقين في ذهن التاريخ

فقال لي أجل فحين يرحل الإنسان ويغادر هذه الحياة فإن ذكراه يبقى حتى بعد رحيله .

سرنا معا أخبرني عن طفولته وبأنه عاش يتيم الأب، كان تلميذا مجتهدا في المدرسة يحب المطالعة وقراءة الكتب كما ذلك كان سببا في سفره وتنقله من منطقة إلى أخرى ، التقطنا عدة صور معا ، كان المنظر ساحرا فأشجار النخيل على طول الطريق ونهر دجلة وضوء القمر الساطع ، عرفت بأنه متزوج ولديه ثلاث أميرات قال لي بأنهن العيد ، ضحكت وقلت له العيد !! أخبرني عن العيد فقال لي العيد في طفولتنا كنا نضع الملابس الجديدة عند وسادتنا وننام ، وفي الصباح نحضن أمهاتنا ونرتدي ملابسنا ونذهب لصلاة العيد بعدها نزور الأقارب ونأخذ العيدية ، ضحكت وقلت له أريد العيدية !! فقال لي سأعطيك أجمل عيدية في هذا العيد وسآخذك إلى مدينة السندباد قلت له ماذا هناك ؟! فقال لي مدينة للألعاب وللتنزه فقبلت ذلك .

كان طريقي معه يسعدني كثيرا ، شعرت بأنه أبٌ رائع لثلاث نجوم في سماء قلبه .

"باكستان "

" النصب التذكاري الباكستاني "

بعد أن قرر أريان أن يتصالح مع نفسه ويقبل الأمور كما هي وأن يعود نفسه على الصبر فقد غضب من الأصدقاء في مدرسة لاهور وقرر أن يعود إلى أمريكيا لوحده لكنني أقنعته أن نبقى قليلا على الأقل لنكمل الفصل الدراسي للطلاب ، لقد حاولت جاهدة لمحو الأمية ومساعدة الأهالي في نفقات ومصاريف الدراسة للأبناء ، لقد تلقينا احتراما كبيرا وشكر من الأهالي ، أتذكر في ساحة المدرسة كانوا يجتمعون الطلاب للغناء معا وترديد النص المدرسي الذي تلقونه في الصف ، لقد شعرت بأننا بدأنا نحقق انجازا في دعم التعليم من خلال زيادة الوعي بأهميته واقناع جميع الأهالي بإرسال بناتهم للدراسة .

في ذلك اليوم كنت أجلس مع أريان عند عتبات الدرج نضحك وندردش معا حتى جاء رجل ومعه ابنته نظرنا إلى بعضنا البعض لا يعقل ذلك !!

إنه الرجل ذاته الذي قرر زواج ابنته والذي قابلناه في مطعم حيدر في لاهور القديمة ، وقفنا وألقى علينا التحية قال لنا بأنه سمع عن المدرسة والدعم الذي نقدمه والنجاح والشهرة في وقت قصير جدا لقد قرر لابنته حياة أفضل وهذا هو القرار الصحيح ، لقد

أسعدنا ذلك كما أن هنالك أمهات قدمن الشكر لنا ، كان أريان يغار كثيرا من تعلق الطلاب بي ومحبتهم لي كان ذلك يثير غيرته ويضحكني كثيرا .

بعد انتهاء الدوام في المدرسة قرر أن يأخذني لرؤية النصب التذكاري الباكستاني قال لي بأنه يرمز للوحدة الوطنية مصمم من الجرانيت البني تحيط به جدران مائلة على شكل ورق لزهرة البتول الرائعة كانت أجمل زهرة أراها في حياتي ، عانقني والتقطنا الصور نظر إلي وقال أتعلم أنك الوردة الوحيدة في حياتي قلت له أعلم ذلك ، في ذلك الوقت وبالتحديد أصابتني سعادة كبيرة قلت له أحبك ، أخذ نفسا عميقا نظر إلي متعجبا ماذا قلتِ ؟! ضحكت وأزحت وجهي عنه فقال لي : وأنا أحبك .....أحبك

كان ذلك من أسعد الأيام التي شعرت بأن هنالك سعادة كبيرة تطرق بابي ، لم يكن ذلك يجعلني أتراجع لخطوة واحدة بل شعرت بأنني أرغب في ذلك ، لقد قبلت أن أكمل حياتي معه ولأول مرة أقبل به .

" بغداد "

" بيت الحكمة "

هنا وجدت مكان آخر لم يسبق لي أن عثرت عليه ، التكامل والتوازن بين الحب والدين والعلم والأخلاق والمبادئ التي يسعى كل إنسان أن يجد نفسه محاطا بها ، لقد شعرت بأن علي أن أبدأ من هنا ومن المكان الذي ازدهر به العلم ونمى وأصبح مقرا للعلماء المسلمين وللغرب أيضا ...

فقد عرفت المكان حين رأيت الدكتور عمار الجصاني قد التقط صورة له في المنطقة فسألته ما هذه المنطقة ؟! فقال لي بيت الحكمة فأقترحت عليه أن نذهب معا إليها فذهبنا .

"بيت الحكمة "يطلُّ على نهر دجلة في جانب الرصافة بالعاصمة العراقية بغداد، طراز معماري خاص في العمارة الإسلامية، سقفه المزدان بنقوش أنيقة يُعَدُّ من أكبر المعالم التراثية في بغداد العباسية على الطراز الإسلامي المزخرف والمنقوش بآيات قرآنية.

ويعدّ بيت الحكمة واحدا من أبرز المراكز والمؤسسات البحثية والثقافية على مستوى العالم العربي والإسلامي زمن الخلفاء العباسيين الذين حكموا بغداد بين 750 و1258 للميلاد، بـ37 خليفة.

ذُكِرَ في الموسوعة العربية أنَّ "بيت الحكمة" تعبير يُطلق على دار علمية ظهرت في عصر هارون الرشيد (193-149 للهجرة/ 766-809 للميلاد)، وازدهرت في عصر المأمون والخليفة أبي جعفر المنصور، إذ ازدهرت الترجمة إلى العربية من خلال ترجمة الكتب اليونانية في العلم والفلسفة.

دخلنا هنالك من أجل التعرف عليها قد أعجبتني مكتبتها العريقة والواسعة والكتب الكثيرة الموجودة فيها .

قلت له لقد قلت بأننا سنزور جسر الأئمة ، نظر إلي وقال لي : ذاكرتك قوية لقد كنت مشغولا في إعطاء المحاضرات في الجامعة في بغداد ، فقلت له : ماذا عن عيادتك ؟! فقال لي بأنه يذهب إليها بعد انتهاء دوامه الجامعي لقد كان يعمل بجد وتعب في الفترة الماضية ولم أستطع التحدث معه بأي أمر ،لقد كنت أرغب في اخباره عن قصة خالتي زينة لكن الوقت كان ضيق بالنسبة له فلم أستطع ذلك .....

بعد أن زرنا بيت الحكمة كنت أستمتع في حضور المحاضرة للدكتور عمار ونخبة من الأطباء للتحدث عن الطب البديل ودعمه في جميع النواحي ، كان ذلك يسعدني لأنني تعرفت على الكثير من الأمور التي لم يسبق لي معرفتها ، قلن له هل تساعد المحتاجين والفقراء ؟! فقال لي هنالك يوم في الأسبوع يكون فيه الفحص والعلاج مجاني للمحتاجين أما في شهر رمضان المبارك فإنه يقدم العلاج المجاني للمرضى .

ذهبنا بعدها إلى جسر الأئمة وهو جسر فوق نهر دجلة يربط بين منطقة الكاظمية والأعظمية في بغداد المتخامتين لضفة نهر دجلة ، قال لي بأنه سمي بجسر الأئمة لوقوع مقبرتين كبيرتين دفن فيها رفات الكثير من علماء الإسلام وهي مقبرة قريش التي دفن فيها الإمام موسى الكاظم في الحضرة الكاظمية، ومقبرة الخيزران التي دفن فيها الأمام أبو حنيفة النعمان في جامع الإمام الأعظم، بالإضافة إلى رفات الكثير من علماء وأئمة بغداد في كلتا المقبرتين.

أخبرني قصة قديمة عن الجسر فقال لي : كان الجسر القديم طائفاً على النهر، وكان يربط بين الضفتين مكوناً من طوافات متلاصقة ومربوطة بحبال متينة، يطلق على الطوافات في اللهجة العراقية الدارجة

(الدوب) وكثيراً ما تتحرر الطوافات من وثاقها الذي يربطها بالضفة وتنطلق عائمة في نهر دجلة فيستيقظ الناس وقد وجدوا أن جسرهم قد هرب فيتطوعوا للبحث عنهُ معظم الناس في المنطقة والذي يجدونهُ فتتم اعادته مرفقاً بالعزف الموسيقي الشعبي وهلاهل (زغاريد) النسوة لمصالحتهِ ظناً منهم انهُ ترك مكانهُ زعلاً وغضباً.

" بغداد "

" جامعة بغداد "

"الإعلامية سهير الهاشمي "

ذهبت مع منال لحضور إحدى الندوات للإعلامية سهير الهاشمي كان ذلك من حسن حظي بأنني التقيت بها وتعرفت عليها ، أخبرتني بأنها من مدينة بغداد تعمل في وزارة الموارد المائية ، أثار رغبتي التعرف عليها أكثر فقد كنت مستمتعة كثيرا في حضور ندوة اللغة العربية التي لطالما عشقت التعرف عليها أكثر فأكثر حيث قالت لي بأنها تقدم محاضرات للغة العربية وفن الاتكيت والموارد البشرية ، حين عرفت ذلك طلبت منها أن تشاركني رحلتي في التعرف على بغداد فقبلت ذلك .

سألتني هل أنتِ متزوجة ؟! نظرت إليها بنفي وقلت لها : لا ، لكنني أفكر في أن أخطو خطوة كهذه .

- **الزواج رائع حين نكون مع من يحبنا ويفهمنا ويحترم عقائدنا مهما كانت .....**
- **هل زواجكِ ناجح ؟!**

نظرت إليّ ، سرحت قليلا ثم قالت لي لقد انفصلت عن زوجي .....

- أعتذر
- لا ، الأمر ليس كما تتوقعين ، لقد انفصلت عنه بسبب الطائفية .
- ماذا يعني ذلك ؟!
- أنا سُنية وهو شيوعي

توقفنا عن الحديث فقد أخبرتني بأنها ستخبرني التفاصيل في وقت آخر قالت لي : سآخذكِ في زيارة إلى منزلي ، فقبلت ذلك .

كنت ضيفتها في ذلك اليوم ، غادرنا الجامعة وذهبنا إلى منطقة باب الشيخ قالت لي : بأنها منطقة عريقة جدا فيها ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني من جهة الرصافة من بغداد حين وصلنا الضريح قلت لها -هلا توقفنا قليلا .

قرأت الفاتحة عن روحه قالت لي بأنه زاهد صوفي وكان يتخذ المكان مأوى له للتعبد .

كما قالت لي بأن المنطقة يطلق عليها اسم " تابية الزاوية " وأصبح جزءًا منها يُعرف باسم " قطيعة العجم " أما ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني تسمى بالحضرة القادرية.

قالت لي بأننا سنتاول الغذاء في منزلها ، منزلها تراثي جدا قالت بأن سكانه الأصليين من اليهود فقد سكن المنطقة المسلمين السنة والشيعة واليهود

ومازالت بيوت اليهود موجودة كما هي ، المنزل واسع وجميل فيه طابع ديني كلاسيكي وحديث ، جلست على الأريكة أنظر إلى الحائط صورة الأحصنة وهي تثور وتعلن استعدادها لأمر ما ، شعرت بقرب الصورة من حياة سهير إنها تعيش الحياة بكل قوتها ورغبتها في الكفاح والوصول ، إمرأة مثلها تعلم متى تثور ومتى تهدأ ، متى تحب ومتى تنسحب ، تعرف كيف تعطي دروسا في الحب والحرب .

طلبت مني التصرف على راحتي ، قالت بأن علي أن أعتبر منزلها منزلي هذا ما وجدته في الشعب العراقي حسن الضيافة والكرم .

إمرأة مثلها لا تخاف من قول الحق بل تعطي دروسا في ذلك ، حين جلست معها في المطبخ بدأت بإعداد طبق السمك قالت لي بأنني سأقضي أسبوع في منزلها ، في البداية اعتذرت منها لكنها أصرت على ذلك قالت لي بأنها وحيدة في المنزل ولا يوجد إلا ابنها حيدر وهو طالب مدرسي ، طلبت الإذن من خالتي زينة لأمكث أسبوع في منزلها فقبلت ذلك .

عدت أتحدث معها قالت لي بأن طبق السمك ، ورق العنب ، الدولمة هي أشهر الأكلات العراقية كما أنها تعتبر نفسها طاهية جيدة وأم رائعة لثلاث أولاد وابنة

واحدة ، نظرت إليها وقلت لها أنا متأكدة من ذلك أنت رائعة جدا ومحبة للحياة .

الحب علاقة قدرية تجمع بين اثنين مهما كانت بينهم المسافات يبقى النصيب يرتب للقاء حتى يجتمعان في بيت وتحت سقف واحد ، فكل واحد في هذه الحياة منغمس في حياته يغدو كالطير ساعيا لاقامة عُشه ،يختار أحدهم ليكون رفيق دربه ، يجتمعان معا فيضع كل واحد مجهوده لانجاح العلاقة وتكوين الأسرة ، ومهما كانت التحديات والصعوبات في نهاية الطريق يولد الأمل ومستقبل الأبناء واجتماع العائلة .....

في حياة الإعلامية سهير الهاشمي بدت لي بأنها إمرأة مفعمة بالحب والحياة لم تكسرها صعوبة الظروف ولا خيبة الأحبة ولا خيانة الأصدقاء ، قالت لي : إن أفضل ما يقدمه المرء لنفسه هو الحب لأنه قادر على أن يغير حياته وللابد.....

حين بدأنا الحديث عن الحب قالت لي بأن المرأة في مجتمعنا بعد سنّ الخمسين تبدو لها الحياة غريبة بعض الشئ ، تشعر وكأن مهمتها قاربت على الإنتهاء بعد تربية الأبناء وتعليمهم وبعد أن يشق كل واحد طريقه في الحياة لكنها وجدت الحب في هذا العمر ، قالت لي : المرأة تزهر وتبدو أجمل بعد سن

الخمسين قلت لها لقد عشت في أمريكيا وتعرفت على العالم الغربي إنهم يتزوجون في سنّ متأخر لأن مفاهيم الزواج تختلف عندهم ، إنهم يتزوجون حين يجدون الحب وحين يقرروا أن يشاركهم أحد تفاصيل حياتهم لذلك لا يكبرون عن الحب ، نظرت إلي بعد أن تركت الصحون على الطاولة وضحكت مندهشة لما سمعته وقالت لي : أخبريني أكثر عن الحب في العالم الغربي قلت لها : بالطبع سنتكلم كثيرا عن هذا الأمر .

بدأت مساعدتها في تحضير المائدة قالت بأن ابنها حيدر سيأتي بعد قليل من المدرسة .

-هل قريبة المدرسة من هنا ؟!

-نعم ،إنه في مدرسة الشيخ عبد القادر الكيلاني

- أتصدقي يا سهير بأنني لم أجد في أي منطقة في العالم تقديرا للعلم والدين كما وجدته هنا .
- أجل هنا تجدين السُنة والشيعة والطوائف الإسلامية.
- هل هنالك فروق بينها ؟!
- أجل ، لكل معتقداته الدينية
- هل يتزوج السنة والشيعة ؟!

- نعم ،لقد تزوجت من شيعي وأنا سنية لكننا لم نتفق بسبب العقائد والاختلافات الدينية فانتهى زواجي بالطلاق .

إن القدر يجمع بين اثنين ومهما كان الإختلاف فإنهما سيجتمعان تحت سقف واحد هكذا كان رأيي في الأمر ، لكن سهير كانت تقول لي بطريقة أوسع وأجمل قالت لي : بأن الحياة فيها الكثير من التجارب فهي كالبحر إن لم نتعمق به لن نستطيع اكتشافه .

ثم جلست بجواري لتخبرني ما تقصده أكثر قالت لي تخيلي أن تكون حياتك مليئة بالمسؤولية تشعري كل يوم بالملل والروتين وبعد سنّ الخمسين تبدو حياتك بلا هدف من الروتين والرتابة فجأة يجتاح الحب حياتك ، يغيرك ويعيد نبض الحياة إلى عروقك تشعرين بالحب وكأنك تعيشنه لأول مرة ، يطرق سؤالٌ واحد هل الآن ابتدأ المشوار من جديد ؟! الآن فلقد وجدت الحب .....

كلماتها أثارت في داخلي نبضا مختلفا ، حركت ذلك الجزء الذي لم أشعر به منذ مدة ، شعرت بأنني بحاجة إلى الحب ، عرفت كم أن الحب يجعلنا أطفال نحلق من السعادة ، تعانق قلوبنا السماء ، ننظر إلى القمر ونحلم بالوصول إليه .....

في الحب لا يمكن أن يكون العقل حاضرا في كل الأوقات فحتى الحياة هنالك أمور لا يدركها المنطق ، إنها حاسة قلبية تأتي من أعماق الروح تهب للقلب دقاته ، يقال بأنها التقاء للأرواح .

قالت لي سهير بأن الحب في بداية العمر كأن تضع يدك في لهيب النار تارة تقترب وتارة تبتعد لكن الحب بعد عمر الخمسين كأن تضع يدك على الجمر يكوي القلب كيّ، تذكرت قصيدة في نهايتها كانت تقول آخر العشق كيّ.

حين يطرق الحب بابك وأنت في هذا العمر فإنك تغوص في أعماقه دون أن تهتم بتقلبات الأمواج ولا حتى إلى أين ستأخذك ؟! حتى وإن ألقتك في منتصف البحر ستفتح ذراعيك وتغمض عينيك لتجعل أمواجه ترتطم بك من كل الجهات ، لا تهتم لأي شئ تهب عقلك وقلبك وروحك لهذا الحب وكأنك تقول له افعل بي ما تشاء ، تكون على ثقة بأنك وجدت الحب الحقيقي وعثرت عليه .

إنني في مقتبل العمر أبحث عن الحب تارة أقترب وتارة أبتعد ، أقدم خطوة وأتراجع خطوتين لكنني لم أجازف وألقي نفسي في أمواجه فقد أخاف أن لا أجد نفسي وأن لا أعود إليها مرة أخرى ، دوما هنالك خوف وأسئلة كثيرة تجوب مخيلتي هل البدايات تكون

سعيدة ولكن النهايات ؟! هل سنحاول بعد قصة الحب أن نجد أنفسنا بالنسخة القديمة ؟! أم أننا سنحاول إعادة ترتيب حياتنا لتبدو أكثر هدوءا واتزانا من قبل .....

لكن الأمر يختلف من شخص إلى آخر فالحب ليس قاعدة ثابتة أو طريق معين يسلكه الجميع ، لكن هنالك حب صادق يأتي من قلب صادق قد يكون دعوة أحدهم في ليلة ما .....

اسأل نفسي كثيرا لماذا هنالك أشخاص بقي وجودهم بيننا رغم رحيلهم عن هذه الحياة ؟! لماذا طبعوا روحهم في قلوبنا ؟!

هل يمكن أن نقول بأن تلك كرامات من الله عز وجل يهبها لمن وهب حياته لمحبته، حين تعرفت على الحضرة القادرية أثارتني الرغبة بأن أغمض عيوني لترتطم روحانيات المكان بروحي لعلها تصيبني تلك البذرة الروحانية التي غرسها الشيخ عبد القادر الكيلاني في هذه المدرسة ، حاولت أن أعلق قلبي بالله فقط كانت أجمل تجربة روحانية أقوم بها في حياتي ....

منْ عرف الله لم يبقى له رغبة فيما سواه ، تشعر بأن العالم يصغر في عينيك بمجرد أن تعلق قلبك بالله وحده ، ستحب غيرك مهما كان عرقه ولونه وجنسه

وعقيدته ، سيكون من السهل أن تحب الكون كله ، لأنك أحببت الخالق فكيف بمخلوقاته؟!

ستشعر بالسعادة حين تلامس قلبك نسمة الهواء ، وحين تقترب لتسمع دبدبات الماء وهي تتحرك ، وحين تمر من أمامك فراشة ما ، ستصبح جسدا وروح متناغما مع الكون ، تفتح ذراعيك بحب لتستقبل أقدار الله لك .

كما أنني قرأت عن الشيخ عبد القادر الكيلاني فالصوفيّ عنده هو "من صفا باطنه وظاهره بمتابعة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والصوفي الصادق في تصوّفه يصفو قلبه عن ما سوى مولاه عز وجل، وهذا شيء لا يجيء بتغيير الخرق، وتعفير الوجوه، وجمع الأكتاف، ولقلقة اللسان، وحكايات الصالحين، وتحريك الأصابع بالتسبيح والتهليل، وإنما يجيء بالصدق في طلب الحق عز وجل، والزهد في الدنيا، وإخراج الخلق من القلب، وتجرّده عن ما سوى مولاه عز وجل".

أي أنك عليك أن تحب الله وحده لتحب مخلوقاته ، فمن السهل عليك أن تقوم بالعبادات كافة لكن من الصعب أن تكون صوفيا تصفو قلبك لله عز وجل ففي هذا الوقت قد عرضت الفتن في كل مكان ، وإن أردت أن تصبح صوفيا عليك أن تخوض تجربة روحانية

مع نفسك لتتمكن من ذلك ، عليك أن تفتح قلبك وعينيك لتنار بصيرتك للحقائق، عليك أن تعظم الله في قلبك ليصغر بعده العالم في عينيك ،ستنظر للأمور بعين القلب ....

في بداية الأمور كنت أرغب في معرفة المستقبل وماذا سيحدث لي لكن الآن أعيش الحاضر بعين الرضى والحب ، شعرت بأن أفكاري هدأت وأن سفينتي بدأت ترسو على برّ الأمان .

عند زيارتي لسهير التي أصبحت من صديقاتي الأقرب لقلبي شعرت مدى اتساع رقعة أفكارها وفهمها للحياة وقد لاحظت ذلك في أول يوم أجلس معها فيه لنتحدث معا ونتشارك أفكارنا .....

"اليوم الأول في منزل الإعلامية سهير "

" باب الشيخ / بغداد "

جلسنا على مائدة الطعام قالت لي سهير تصرفي على راحتك ، عليكِ أن تعتبري منزلي منزلك ، لقد أخجلني كرمها وحبها لي ، تذوقت السمك كان طعمه طيبا وشهيا للغاية ، نظرت إلى ابنها حيدر وقلت له والدتك طاهية ماهرة فضحك بخجل وأكمل طعامه ، قلت لها من المستحيل أن تشعر بالغربة وأنت في بغداد وأردفت قائلة له لقد فصلت حذاء لي عند النصارى في شارع الرشيد فقالت لي نعم هنالك تجدين الأكراد والتركمان والعرب والأجانب ، تناولنا الطعام بعدها ساعدتها في ترتيب الطاولة وتنظيف المطبخ كان من دواعي سروري الحديث معها ومشاركتها يومياتها .

اتصل بي عمي عدنان تركتها تكمل التنظيف دار حديث بيننا توقعت بأنه يريد الاتصال ليسأل عن خالتي زينة .

- **دارين أرجوكِ أخبريني ماذا حصل ؟!**
- **لم يحصل شئ لكنها رفضت مكالمتك كما أنها طلبت مني أن لا أعبد الموقف معها مرة أخرى .**

- وكيف سأتكلم معها ؟!
- أرجوك افهمني قليلا ،إنها لا ترغب بذلك وأنت عليك أن تتفهم أمرها .
- أخبريها بأنني عدت اسأل عنها لكنني عرفت بأنها متزوجة ؟!
- سأخبرها .....
- دارين ،أرجوكِ حاولي معها
- حسنا عمي لكن إن رفضت .....
- لن ترفض ، فقط حاولي
- مثلما تريد .

أغلقت الهاتف وأخذت نفسا عميقا قالت لي سهير ماذا حصل ؟! هل هنالك مشكلة ؟!

قلت لها :لا، سأخبرك القصة فيما بعد .

وفي المساء أعدت لي فنجان القهوة ، شاهدنا فيلم قصير على التلفاز وبعدها أخبرتني قصة زواجها قالت لي : بأنها سُنية وتزوجت من شيعي كان الزواج طائفيا مختلفا في كثير من العادات والتقاليد والتعاليم الدينية ،لكن النصيب منح تلك العلاقة أن تتوج بالزواج ، قالت لي : بأن الزواج يحتاج مزيدا من الحب والاحترام المتبادل لتنجح العلاقة وتستمر ، ولكن الزواج من طائفة أخرى أو دين آخر يهب العراقيل والتحديات للعلاقة فإما تنجح وتستمر أو

تنتهي بالفشل لأن احترام العقائد والتعاليم الدينية واجب على كلا الزوجين وليس من حق أحدهم أن يجبر الآخر على اتباع نهجه في الدين ، لأن الزواج كان على بينة ومعرفة واتفاق بين الطرفين ، وكما يمكن القول بأن النجاح يحتاج مبدأ الدين الإسلامي في الوسطية والإعتدال وعدم التعصب لفكرة دينية معينة أو طائفة معينة ، أن تحب الله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خير وشره ، وأن تعرف بأن العقيدة السليمة تجعلك تتقبل الآخر مهما كان ، فلا فرق بين عربي أو أعجمي إلا بالتقوى ، فحين يلتزم المرء بإصلاح نفسه فإنه سيكون قادرا على حب الخير للآخرين ، أن تحب لأخيك ما تحبه لنفسك .....

أخبرتني عن الصعوبات التي أدت بعلاقتها للفشل قالت لي بأن الرجل الشرقي يميل لقيادة مؤسسة الزواج لكن أحيانا العناد والمكابرة وعدم احترام الرأي الآخر تأخذ العلاقة إلى سلسلة من المشكلات التي تجعل الحياة لا تطاق فيما بعد .

قالت لي بأنها لم تقبل أن تغير من السنة إلى الشيعة رغم أنها كانت تذهب لزيارة المراقد الدينية والمناسبات الشيعية لكنها لم تقبل أن تغير طائفتها من أجل فاختارت الطلاق على ذلك .....

قالت لي بأن النصيب حين ينتهي فإن الطلاق سيحل مكانه ، لقد كان كلامها يعبر مدى فهمها للحياة وكم هي قريبة من الله تؤمن بأقداره وتسعد بالحب الذي يحيط حياتها ، إنها تؤمن بأن القادم أجمل مهما كان ما نفقده غالي على قلوبنا ....

أخبرتني عن عملها في الإعلام وفي المحاضرات التي تقدمها ، أحضرت هاتفها وبدأت تخبرني قصة كل صورة التقطتها إلى أن وصلنا الحضرة الكيلانية قالت لي بأنها كانت من بين المئات الذين يذهبون لإحياء ليلة القدر ، تصميم الهندسي للمكان يعطيه لمسة سحرية من الشعور بأهمية المكان الدينية في قلوب المسلمين تقديرا للصوفي الزاهد الشيخ عبد القادر الكيلاني، أخبرتها بأنني حين زرت المكان شعرت بقشعريرة تلامس جسدي فقالت لي : وأنا كذلك ، لكنني سأخبرك نظرتي للحياة وللأشخاص فقلت لها : هذا من دواعي سروري معرفة ذلك ....

كنت استمع إليها بانتباه شديد واصغاء لما ستقوله لي ، لأنني أشعر بأنني أخذ دروسا من إعلامية ومربية وأم فاضلة....

قالت لي : لكوني اعلامية سافرت كثيرا وتعرفت على الكثير من الأشخاص ومهما عرفت في حياتي من أشخاص شعرت بأن أفاقي توسعت نحو الحياة ،

ازداد تعلقي بالله وحبي له ، لأن حب الله هو لغة الحب التي تسمو في نفوسنا وتعيدنا عن الطريق الخطأ ، قالت لي : لا أنكر بأنني مررت بأيام صعبة بعد طلاقي وشعرت بالوحدة كأي إمرأة في هذا العالم لكنني عدت للحياة من جديد أؤمن بأن الحب سيطرق بابي مرة أخرى ....

أخبرتني بأن المرأة تشعر بالسعادة حين تستقبل أولادها المتزوجين وتبدأ بملاعبة أحفادها وتستمع في طهي الطعام وإعداد المائدة لهم والسهر معهم والذهاب إلى التنزه في أيام العطل ، تلك التفاصيل تشعرها بأن عمرها لم يذهب سدى بل هنالك ثمار للجهود التي بذلتها في حياتها ، لكنها أخبرتني عن الوحدة في غيابهم وبأنها لم تقدم استقالتها من العمل لرغبتها في تقديم العطاء أكثر وتشعر بأن وجودها مهم في هذه الحياة ، قالت لي بأنها وجدت حبها في العائلة والعمل والأصدقاء الذين هم وجها آخر للحب ونوع من انواع السعادة .

سألتها هل أنتِ مرتبطة ؟! فقالت لي أظن ذلك ، لم تخبرني أكثر لكنني شعرت بأن هنالك حب طرق بابها ، لربما بأن الحب الحقيقي لا يطرق بابنا في وقت مبكر من حياتنا ربما يختبئ في سنوات عمرنا القادمة ....

"الباكستان "

"تقاليد الزواج "

تعد فساتين الزفاف الباكستانية التقليدية على قدر من الجمال والأناقة، فهي غنية بالتطريز والزخارف والمواد البراقة والمتلألئة، وغالباً ما يسيطر الأحمر أو الكستنائي أو الوردي على لون الفستان، وترتدي العروس مجوهرات ضخمة بغرض التباهي بثروة عائلتها، وتتميز كل منطقة جغرافية بفستان زفاف خاص بها، ويعكس فستان الزفاف الحالة المالية والاجتماعية للأسرة .

تدخل أقمشة الشيفون والكريب والحرير والأورجانزا والحرير الصناعي وغيرها في صناعة الفساتين، ويتم تزينها بالزركون والكريستال والأحجار الكريمة واللؤلؤ وأحجار السواروفسكي والترتر والخرز، ويستخدم أسلوب الأبليك في التطريز والزخرفة ،كما وتكون الفساتين طويلة بأكمام أو بدون، أما فيما يتعلق باللون، فعدا الأحمر ثمة ألوان أخرى مرغُوبة؛ كالوردي الصارخ، والأخضر الزمردي، والبرتقالي،

والرمادي الفاتح، والذهبي، والذهبي المغبر ويتكون فستان الزفاف من 3 إلى 4 قطع، وقد يصل وزن الفستان الواحد إلى 12 كغ، أما الأسعار فتتراوح بين 5000 روبية وتصل إلى 200,000 روبية؛ أي ما يعادل 100 إلى 3500 دولار، ويحتاج الفستان الواحد أشهرًا من العمل لإنجازه.

ثمة تشكيلة كبيرة وفائقة الروعة من فساتين الزفاف الباكستانية، لكن أهمها وأكثرها شيوعا وهو لينجا يتكون الفستان من بلوزة ضيقة تصل حتى منطقة الخصر وتنورة، ويتم ارتداؤه مع شال تقليدي طويل مليء بتطريز مميز وخاص بالمناسبة يسمى دوباتا وهو أكثر فساتين الزفاف شيوعًا، حيث تختاره أكثر من 80٪ من العرائس.

شرارة يتميز هذا التصميم بجزء سفلي فضفاض مليء بأنماط تطريز جميلة، ويفضل ارتداؤه في حفلات الزفاف الصيفية لخفة وزنه، وقد أجرى المصممون الباكستانيون بعض التعديلات عليه لإكسابه مظهراً عصرياً.

أنجراخا يتكون من فستان طويل وبنطال ضيق مُزين بنمط تطريز تقليدي، ويعد فستانًا غير ثقيل نوعًا ما،

كما أنه مناسب لطويلات القامة، وهو مستوحى من العصر المغولي.

غرارة يعد من أقدم التصاميم، ويتكون من بنطال واسع الأرجل وبتصميم مميز عند الركبة، بالإضافة إلى قميص طويل يسمى كورتي ويضاف عليه دوباتا

.فرشي جورا وهو فستان طويل مكون من قطعة واحدة مع ذيل طويل كذيل السمكة بالإضافة لدوباتا وهو مستوحى من فستان الزفاف الغربي.

لباس العروس في الباكستان لكل مرسم ولأن حفلات الزفاف في الباكستان تُقام على عدة أيام وتتضمن عدة مراسم، فللعروس لباس مخصص لكل يوم، وهي على النحو الآتي: يوم الخطوبة أو طلب يد العروس على العروس ارتداء فستان بلون أصفر وعدم وضع مساحيق التجميل. يوم الحناء على العروس ارتداء فستان إما باللون الأخضر أو الأصفر أو البرتقالي، وتغطية وجهها بخمار خلال الحفل، ووضع قدر بسيط من مساحيق التجميل ومجوهرات من الزهور. عقد القران غالبًا ما يكون اللون الأحمر هو لون فستان الزفاف إشارة إلى الحب والدفء، وتتزين العروس بكم كبير من المجوهرات وأساور الذهب الضخمة.

بعد أن قرأت عن تقاليد الزواج في الباكستان، أغلقت هاتفي وبدأت بتجهيز نفسي للذهاب إلى العرس ، بدلت ملابسي بدت جميلة جدا ومزركشة لقد اختارها لي أريان أما أنا فقد اخترت تنسيق الأساور الملونة ووضعتها في كلتا يداي ، بعدها وضعت مساحيق التجميل وأسدلت الشال على شعري ، لقد اخترت اللون الأخضر مع الخمري بدا لي جميلا جدا ، وقفت عند المرآة تفاخرت بنفسي قليلا ثم حركت يداي لأسمع صوت الأساور وهي ترتطم ببعضها البعض كان ذلك جميلا ومبهجا، كنت أنظر إليه باعجاب بينما ينظر إلي بحب ، لطالما أحبني كثيرا وأحببته أقل .....

ذهبنا إلى مدينة كراتشي كان الطريق طويلا والجو حار جدا أخبرني على الطريق بأنه سيأخذني بجولة للتعرف على مدينة كراتشي .

أخذنا الحديث بعدها قال لي إن تزوجنا سنقيم حفل زفافنا هنا في الباكستان، ضحكت بخجل وقلت له أجل ،أوافقك الرأي لقد أعجبني اللباس كثيرا والزينه والحلي .

نزلنا من السيارة كان صوت قرع الطبول يصل مسامعنا والأطفال يركضون ، وصلنا منزل العريس إياز خان فاستقبلنا هو وعائلته لقد رحبوا بنا أشد

ترحيب ،أما والدته فقد أخذتني معها إلى قاعة العروس، كانت القاعة مليئة بالزينة والألوان وفرق الرقص والمعازيم من النساء كان لباسهن جميلا ومليئا بالزركشة والحلي من الذهب .

بدأت فقرة الرقص فجلست العروس في المنتصف وحولنا النساء يُغنين أغاني تراثية ،اقتربت مني أحد الفتيات وسألتني هل أنتِ متزوجة ؟! فقلت لها : لا

فقالت لي ربما الليلة ستلتقي بفارس أحلامك ، ابتسمت لها وسرحت قليلا فقد سمعت والدة إياز خان تقول بأن القمر قد اكتمل الليل وهذا يعني بأن كل واحد سيلتقي بشريكه ، هذه عادات مأخوذة من التراث الهندي القديم .

تعلمت الكثير من الحركات وخاصة التي يتم بها تقديم اليدين مع التصفيق لسماع صوت الأساور ورفع التنانير لتظهر الخلاخيل ورسمات الحناء على الأقدام ، جاء العريس ووقف بجانب العروس رفع عن وجهها الغطاء وبعدها وضع عليها الزنجبيل وقبّل جبينها، بعدها بدأ كل واحد بالقاء التحية وأخذ البركات من الأهل، بعدها أشعلوا الأغاني وبدأوا بالرقص كان ذلك جميلا جدا .

بعدها قام الرجال بالاصطفاف جنبا إلى جنب والفتيات كذلك كل واحد يعرض الزواج على شريكته والتي

تقبل يتم وضع اكليل الورد في عنقها، أما إن رفضت ذلك فيعود الرجل إلى مكانه ، لقد عرض عليّ أريان الزواج فقبلت ذلك ، بعدها وضعت لي والدة إياز خان اكليل الورد والزنجبيل على مقدمة رأسي، أخذني أريان وقبلني على جبيني، شعرت بمشاعر غريبة تجاهه وكأنني أحببته ،رقصنا معا وغنينا معهم وبعدها عدنا إلى الفندق ، قلت له وداعا فقال لي أحبك ....

في الصباح تحدثت مع عائلتي بشأن خطوبتي من أريان وأخبرتهم بعرضه لي للزواج وبعدها اتصل بهم وتمت أمور خطوبتنا بسرعة ، لقد قبل أهلي بالأمر لعلمهم عن أريان وعائلته والعلاقة التي جمعتهم في السابق ، في ذلك اليوم اشترى لي خاتما وتسوقنا قليلا وذهبنا إلى المدرسة وبعدها المطعم وعدنا إلى الفندق وكالعادة وقف عند الباب قلت له وداعا وقال لي أحبك .....

مضت قصتنا على هذه الحالة ، لم أشعر بأن لباس الخاتم غير من مشاعري لكنني قبلت بالأمر ، في ذلك اليوم ذهبت مع كلوديا إلى المدرسة كان الطريق طويلا مع أجواء الشمس الحارقة ، حاولت الاتصال بأريان لكنني لم أستطع الوصول إليه ، عملنا في المدرسة كثيرا وقمنا بتوزيع الجوائز والهدايا للطلاب

كما تمت المسابقة القرآنية بشكل جميل فقد كانت حلقات التعليم من أجمل الحلقات التي تم العمل عليها .

إن أردت أن تبني مستقبلا فابدأ بتعليم مبادئ الدين الإسلامي وبعدها القراءة والكتابة ليتم ترجمة ذلك على أرض الواقع .

إن الحب الذي يجمعه الطلاب في قلوبهم تجاه بعضهم ينعكس على أدائهم تجاه مجتمعهم مما يمنح الدولة قدرة على التطور والنمو .

بعد مرور أسبوع من فقد اتصالنا بأريان شعرت بالقلق كثيرا عليه لكن في النهاية استطاع جون التواصل معه فقد اخبره بأنه قد عاد إلى أمريكيا ، كان ذلك سببا في إعادة ترتيب العلاقة بيننا ؟! كيف يسافر ؟! وما تفسير ذلك ؟!

لقد وضعني بموقف حرج بين الأصدقاء والعائلة وأسئلة كثيرة تثير الاستغراب لماذا رحل فجأة ؟!

كما أخبرني جون بأن أريان يرغب في البقاء لوحده وبأنه غادر لأنه يريد أن يغادر ، لقد ادعى بأنني لست الحب الذي كان ينتظره فقد تركني بلا قيود ودون أن أضع له الحجج ومحاولة خلق أعذار كاذبة .....

كان يقول لي أحبك وأقول له وداعا لكن الآن قال لي وداعا وغادر ، لكنني كنت متأكدة من أننا سنلتقي وسنعود مرة أخرى ، لم يكن لدي أي وسيلة للتواصل معه سوى صندوق البريد الإلكتروني فقد غير كل شئ إلا هو ، أرسلت له الرسائل وقررت أن أخبره عن كل يوم لي في الباكستان، فقد كان علي البقاء لحين انتهاء الفصل الدراسي ليأخذ مكاننا أساتذة آخرين وليتم إكمال العمل الذي جئنا لأجله .

" فندق سيرينا "

في المساء جلست مع الأصدقاء تناولنا العشاء وتحدثنا قليلا عن آخر مرحلة من التعليم التي سنقوم بها ، لقد وضعت مريم اعلانا للمعلمين وقامت كلوديا بحل الأمور المالية وجمع التبرعات ،كما نظم الشباب صندوق الدعم للمدرسة بحيث تستقبل المساعدات المالية لمدى العمر حتى يتمكن المعلمين من أخذ أجورهم وتقديم العمل بمستوى جيد ، تابعت جميع التفاصيل معهم من التخطيط والتنفيذ ، كنت أحاول أخذ استراحة والهروب قليلا من العمل ومن الأصدقاء لقد شعرت بأن أريان ترك فراغ كبير في داخلي ، لم أشعر بأنني قادرة على المضي لوحدي رغم وجود الأصدقاء جميعهم كنت أرى بأن أريان مختلف كثيرا عنهم ، لكنني لم أعرف كيف احافظ عليه .....

وقفت عند النافذة انظر إلى تلال مارجالا شعرت بالغربة وكأنني لا أرغب في البقاء هنا .....

" محطة القطار "

" كيت استيشن في كراتشي الباكستان "

بعد أن ذهبت مع أريان إلى مدينة كراتشي أخبرني بأنه سيأخذني برحلة في القطار لكنه بعد أن سافر إلى أمريكيا قررنا أنا والأصدقاء الذهاب لوحدنا ، ذهبنا إلى منطقة سدار القريبة من طريق Dr. Daupota ومن ثم إلى محطة كيت استيشن فهي واحدة من محطات السكة الحديدية في كراتشي مجهزة بجميع المرافق الأساسية يعمل ٥٠ قطار يوميا في هذه المحطة ....

ركبنا القطار بعد أن قطعنا التذاكر سنقوم بجولة داخل مدينة كراتشي تلك المدينة التي تكون مزينة بالحفلات ذات الألوان المبهجة والأشخاص الحاملين لطاقة فريدة ومميزة ، فهي مدينة مزدحمة بالسكان ....

أعطتني مريم حقيبتها وذهبت إلى مقطورة أخرى بينما قرأت كلوديا معلومات عن المدينة وجون بدأ يأكل الطعام ، جلست عند النافذة وجاء بعدها جاك يجلس بجواري قال لي أتعلمي متى زادت شهرة المنطقة في العصور الإسلامية ؟! فقلت له أجل

أعرف لقد فتحها محمد بن القاسم الثقفي ولقبت بالديبل وبعدها انتشر الإسلام في أسيا ، نظر إليّ بتعجب وقال لي : ثقافتك كبيرة لقد أثر بكِ أريان ، هل هو من أخبركِ بذلك ؟! فقلت له أجل لقد أخبرني عن تاريخ كل منطقة في الباكستان .

كما قال لي بأنه ذهب إلى ميناء كراتشي عندما كان عمره في بداية العشرين ، ضحك جاك وقال لي نعم لقد كنت معه ، تفاجأت وقلت له حقا كنت معه ؟! فقال لي نعم كان ذلك من أجل شراكة العمل بين كلا والدينا .

شعرت بأن جاك قريب جدا من أريان أكثر من أي صديق آخر حتى أنه لا يكف عن إشعال سجائره الواحدة تلو الأخرى لكنه ليس بذلك الحب الذي يمتلكه أريان ويقدمه للآخرين لربما بأن حياته جعلته يأخذ منعطفا آخر يكون فيه أكثر قسوة وحدة في العمل وطريقة العيش ، كان يعجبني دوما اصراره على النجاح وغروره في تحقيق كل ما يريده ....

مررنا في الطريق بأهم المناطق في مدينة كراتشي مسجد طوبى الذي التقطت له صورة والقطار يسير وأرسلتها إلى أريان كتبت له بأن جاك تولى المهمة في شرح المناطق التي نذهب إليها فقد أخذ مكانه كدليل سياحي ، أخبرني بأننا في مدينة كورانجي

الطريق الرئيسي ، ويرجع الفضل في بناء مسجد طوبى إلى الدكتور بابار حميد شوهان أما حديقته تضم الأشجار المورقة والنباتات وتسع مساحته خمس آلاف مصلي .....

لقد لاحظت بأن المساجد كبيرة جدا في الباكستان وجميلة ذات تصاميم جميلة ، وضعت فنجان قهوتي جانبا وطلب مني جاك أن يغادر المقصورة فقد غطى الدخان المكان ثم جلست بهدوء أتابع المناظر الطبيعية .

بعدها كان لا بد من التعرف على ضريح محمد علي جناح مؤسس دولة باكستان " مزار كويد " والذي على يده نالت منطقة كراتشي شهرة كبيرة .

عاد جاك إلى المقصورة ومعه كلاوديا شعرت بأن قصتهم بدأت هنا في الباكستان، نظرت إليه فضحك ثم أعطاها الحقيبة ، تناولنا البطاطا والذرة المشوية ورقائق البسكويت المالح .

تبدأ قصة وتنتهي أخرى تبقى الأشياء التي تنقصنا تلوح لنا من بعيد لا نعلم بحلول قربها ، نحتاج عمرا كاملا لنفهم أمور نمر بها ونفسي سبب حدوثها، لم يسافر أريان وحده إلى أمريكيا كما كنا نعتقد لقد رافقته امرأة تعرف عليها في الباكستان أمريكية الأصل لقد طبق مقولة بأن الرجل لا يغادر امرأة إلا

إذا دخلت حياته امرأة أخرى والمرأة لا تغادر حياة الرجل إلا إذا انجرحت منه ، لقد سمعت مكالمته مع جاك حين رن هاتفه وارتبك كثيرا واستأذن بحجة الدخان فتبعته وسمعت حديثه كان يسأله عن المرأة ويضحك كثيرا معه ثم سمعته يقول له إنها بخير تجلس معي في القطار الذاهب من كراتشي إلى لاهور ، عدت إلى مقصورتي عرفت بأن جاك يعرف بالأمر لكنه لم يخبرني لكن فيما بعد أخبرتني كلاوديا.

" فندق سيرينا "

احتسيت فنجان قهوتي أطلقت نظري إلى السماء فكرت كثيرا بأشياء لم تكن تخطر ببالي ربما كان لخطوبتنا أن تنتهي قبل أن تبدأ قبل أن يكون الزواج كارثيا فيما بعد ، بدأت بوضع الحجج لأقنع نفسي بما حدث .

وضعت الهدايا التي أعطاني إياها التلاميذ في المدرسة في آخر يوم لنا كان وداعهم صعب لم أستطع حبس دموعي ، أكملت المهمة التي لم يستطع أريان اكمالها ...

أخذني الطريق إلى النهاية ، جهزت حقائبي للسفر وضعت ملابسي وذكرياتي بها ثم خرجت من الغرفة قابلتني كلاوديا ثم نزلنا إلى الطابق السفلي ، قالت لي إنها رحلة جميلة فقلت لها أجل ....

اجتمعنا في كافتيريا الفندق كان يوم الوداع لا يشبه القدوم ، هنا قصص انتهت وهنالك بدأت لقد توجهت الأنظار إلى جاك وكلاوديا فقد بدأ الجميع يتخيل حفل زفافهما الذي سيقام في سان فرانسيسكو أما عن نفسي فقد وقفت بجانب جون أصابتني هستيريا من الضحك عليه لأنه سيغادر الباكستان كما دخل خالي القلب لكنه وقف بجانبي كثيرا وأنا أحب ذلك منه .

ركبنا السيارات وغادرنا الفندق صاحت مريم بعد أن قطعنا أمتار بعيدة لقد نسيت إحدى حقائبي توقف جون فجأة قائلا لن أعود فغضبت وصرخت بصوت عالي بلى ستعود ، تشجارا كالعادة قلت لهم توقفوا أرجوكم ، رغرغت عيناي فبكيت فجأة ،سكت كل منهما ونظرا إلي قال لي جون : أريان لا يستحقك إنني أفهمك فردت عليه مريم إنكم لا تفهمون المرأة أبدا ولا تشعرون بها .

أدار سيارته وعاد بنا إلى الفندق نزلت مريم لوحدها لتعيد حقيبتها ، بقيت في السيارة مع جون نظرت إلى مدخل الفندق تذكرت أول يوم دخلنا فيه إليه إلى أن

عادت مريم فركبت السيارة وعم الصمت الطريق .....

لم يعني لأحد الأمر كما لي ،لقد عادت بي الحياة إلى طريق أجهله طرقات عليّ السير بها ، لملمت غضبي وحزني وعتابي له ....أعلنت الرحيل عنه غير مهتمة كم سيكلفني الأمر لإعادة وترميم نفسي ....

عدت إلى ولاية ألاباما عند جدتي عدت لأجد الصباح ذاته ،جارتنا كاترين وهي تمشي مع كلبها لوف وجارنا هنري وهو يسقي الأشجار جميع أهل الحي يتحدثون الإنجليزية عدا ليزا التي تتحدث الفرنسي والقليل من الأنجليزي كانت تحضر لي كعكة الفريز بالطريقة الفرنسية في بداية الربيع كما أن كلامها دوما لا ينتهي عن الطعام الصحي وكيفية الحفاظ على رشاقة الجسم فقد عملت أخصائية تغذية بأحد المجمعات الطبية لكنها تقاعدت ولجأت إلى هنا كونه أقل ضجيجا من المدينة أما صديقي جون الذي يسكن مقابل منزلنا فقد كان يراقب دوما ما يفعله أفراد الحي من خلال جلوسه الدائم على البلكونة المطلة للشارع الرئيسي للمنطقة كنت أدرس معه ونتشارك الكثير من النشاطات إنه أمريكي الأصل لذلك كان أكثر التزاما بأفكاره الغربية والعلاقات العابرة دون أي رابط شرعي وقانوني يوثق الزواج لذلك لم يكن

يؤمن به فقد سألته لماذا لم تتزوج ؟! فقال لي : ما حاجتي لذلك نحن غير ملتزمين تجاه العلاقة لقد كانت الفروقات واضحة وكبيرة بيننا ، لكن الشئ الوحيد الذي فاجأني بزواجه لا أعلم السبب الذي جعله يتزوج وأخذ خطوة حقيقية في حياته لكنني متأكدة بأن الأيام كفيلة بكشف لي ما كان يخفيه عني .

ذهبت مع جدتي إلى نادي السيدة ليزا فقد تمت دعوتنا للتعرف على أهمية الطعام الصحي وسيتم طهي الأطباق بطريقة صحية وشهية كانت القاعة مليئة بالنساء اللواتي أعرفهن واللواتي تعرفت عليهن ، تركت جدتي مع رفيقاتها بينما بينما سرت بين النباتات المزروعة داخل النادي ، جاءت كاترين تقف بجانبي قالت لي بأنها قدمت اليوم لأجل الحمية الغذائية قالت لها لكنك تمارسين المشي كل يوم ومسحت بيدي على كلبها لوف ، قالت لي ضاحكة إنني معجبة برجل في الحي قلت لها : منْ ؟!

-إنه ريتشارد

-لا أعرفه

-سآخذك بجولة وستتعرفين عليه

استأذنت من جدتي وذهبت معها بعد أن تذوقنا الأطباق الصحية وتشكرنا ليزا سرنا في الحي معا نتحدث عن الحياة ، السيدة كاترين رغم أنها تجاوزت

الخامس والأربعين من عمرها إلا أنها تبدو في العشرين تحب الحياة وتهتم بجمالها ومظهرها وتحلم بالحب دوما ، سألتها هى تحدثت معه ؟! فقالت لي : أجل ، فقط حين نلتقي إنه يكبرها بسبعة أعوام ، يذهبون إلى المقهى معا يحتسون قهوتهم ثم يسيرون معا ، حين وصلنا إلى منزله كان يغسل سيارته بأنبوب الماء ، رجل أشقر عيناه خضرواتان وشعره أشقر مائل للاحمر وابتسامته عريضة تملئ وجهه ، ألقى علينا التحية فأخبرته كاترين بأنني من أصول عربية ، وقفت أسمع حديثهم كان يخبرها عن زواج ابنته بينما كانت تنصت له بكامل انتباهها واهتمامها، أخبرنا بأن ابنته كانت تقيم في الباكستان ذهلت وتفاجأت وقالت له دارين أيضا سافرت إلى الباكستان، عرفت من كلامه بأن ابنته سافرت الباكستان في الفترة التي كنا فيها ، لقد خيل لي بأن أريان يعرفها أو ربما هي التي تزوجها ، أكلمت كاترين حديثها مع ريتشارد ثم عدنا إلى المنزل قلت لها قبل أن نفترق سآتي معك إلى منزل ابنته فقالت لي : حسنا مثلما ترغبين ، أسدلت شعرها الأشقر ورتبت فستانها وأخذت نفسا عميقا لبدو واثقة من نفسها لكن سؤالها يدل على حيرتها هل سيقع ريتشارد في حبي ؟! نظرت إليها بتردد لا أعلم سنرى ذلك فيما بعد ، تبادلنا الوداع ودخلت المنزل أخفي

قلقي من رؤية أريان ، بدلت ملابسي بعدها فتحت اللابتوب أبحث عن صفحة ابنة ريتشارد على الفيس بوك لكنني لم أجدها بعدها أنهيت الواجبات الدراسية وقرأت قليلا حتى تعبت .....

الساعات التي تفصلنا عن الحقيقة هي أكثر الساعات قلقا وخوفا بالنسبة لي ، الأمر وحده قادر أن يرتب في داخلك مئات من القصص والروايات التي تبدو حقيقية ووهمية في نفس الوقت ، تخيلته في الباكستان وهو يذهب إليها ثم يعود معنا وكأن شيئا لم يكن ، هل كان يغيب ليذهب إليها ؟!

لقد أخذني الهدوء قليلا للتفكير بعد كل هذا الطريق أين ستهدأ رحلتي ؟!

لطالما كانت مليئة بالأماكن والأشخاص والأحداث لكن هذه المرة بقيت وحيدة شعرت بأن محطة الحب قد غادرتني في منتصف الطريق .....

سجلت قائمة بالأمور التي عليّ الانتهاء منها قبل العودة إلى أمريكيا وانتهاء المدة هنا في الباكستان ، لقد شعرت بأن عليّ العودة مرة أخرى لكن في وقت آخر .....

"ولاية ألاباما "

اتصلت بكاترين بعد الساعة التاسعة مساءا أخبرتها بأننا جاهزة للذهاب إلى منزل ابنة ريتشارد ، أرتديت قميصا أزرق وربطة عنق بيضاء بدت جميلة وأنيقة أما كاترين فقد ارتدت فستان قصير لونه أخضر كلون عيناها وكعب عالي يزيد من طولها ركبت سيارتها ثم ذهبنا إلى العنوان قالت لي سائلة كيف أبدو ؟! قلت لها جميلة جدا كما لو أنك في العشرين من عمرك ، نظرت إلى الفرحة التي تسكن عيناها عرفت بأنه الحب حين يطرق باب أحدهم فإما أن يجعله طفلا أو كهلا كبيرا في السنّ .

وصلنا المنزل كان مدخله مليئ بالأشجار والنباتات ، فتحت لنا إلينا الباب ألقت التحية علينا بعدها جاء ريتشارد بابتسامة عريضة يرحب بنا بينما كان انتباهي مشدود نحو ذلك الذي لم يأتي بعد دخلنا إلى الداخل نجلس على الأريكة حتى نادت إلينا عليه قائلة : أريان ....أريان لقد جاء الضيوف

وقعت عيناه عليّ وهو يأتي من المطبخ تلعثمت ملامحه شعرت بغصة في قلبي لكنني تمالكت نفسي ،كانت عيوني تنظر إليه بخيبة لم أشعر بها من قبل انتظرت أن ينتهي العشاء وأن تنتهي الليلة بأكملها

أما كاترين وريتشارد فقد كانوا يتحدثون مع بعض ويضحكون سعداء بالعشاء وباللقاء.....

ذهبت إلى المطبخ فتبعني بحجة إعادة المشروبات نادى عليّ : دارين نظرت إليه وقلت له : لا تنطق اسمي ، لا أريد منك شئ ثم عدت إلى مكاني ، غمزت كاترين بهمس لنغادر فشعرت بشئ لم يعجبني فأخبرتهم بأن علينا المغادرة بحجة دوامي الجامعي ، قال لها ريتشارد متوسلا البقاء : انتظروا قليلا ما زال هنالك وقت لنمضيه معا ؟! فضحكت وقالت لها : الأيام كثيرة بيننا لكن سنغادر الآن ، تشكرتهم على العشاء وتبادلنا الوداع ثم غادرنا تبعنا أريان إلى الخارج كانت إلينا تنادي عليه فعاد إليها ، انتظرت أن نركب السيارة حتي تساقطت دموعي كالماء المنهمر حدقت بي باستغراب وعانقتني ما بكِ ؟! صغيرتي آه لا تبكي هكذا ، قلت لها إن أريان كان خطيبي وقد غادر الباكستان وعرفت بأنه متزوج من أخرى ، قالت لي حقا ؟! لا يمكن ذلك !! لماذا فعل بك هكذا ؟!

سأعرف القصة من ريتشارد ، نظرت إليها بتوسل لا أريد أن تعرف إلينا بالأمر ، مسحت دموعي وقالت لي لا تخافي لن يعرف أحد .

قررت بعدها أن ابدأ من جديد ... أن أعيش لنفسي ...أن أكمل دراستي وأعمل بجد إلى أن وجدت نفسي

أسافر إلى العراق لتبدأ قصة أخرى لم أكن لأعرفها من قبل .....

أو حتى ليجتمع أشخاص كان للقدر قصة أخرى لهم ، لكنني حزنت كثيرا بعد فراق أريان شعرت بأن هنالك نقص ما حصل في حياتي .....

" بغداد "

" الكاظمية المقدسة "

حين ذهبت مع منال إلى الجامعة لحضور ندوة عن أهمية الطب البديل في علاج مرض السرطان والذي كان يلقيه الدكتور عمار ونخبة من الأطباء كان ذلك سببا في أهمية دمج الطب البديل مع الطب في رفع المناعة وتمكين الجسم من الاستجابة للعلاج ،فتحت الكاميرا على السيدة ليزا لتتمكن من حضور المحاضرة فهي مهتمة جدا في أهمية الغذاء الصحي قالت لي بأنها ترغب في زيارة العراق وحضور الندوات التي تقام هنا ، كانت ليزا تسجل جميع

الملاحظات التي يتحدث عنها الدكتور لتضعها في كتابها الجديد .

شعرت بأهمية وجود حلقات وصل بين العالم العربي والغربي من أجل العلم وتطوير الطب لمكافحة الأمراض .....

كنت أستمع لما يقوله بإنصات شديد راغبة في جمع العلم والمعرفة ، بعد انتهاء المحاضرة ودعه الطلاب والأطباء تحدثت معه ليزا عبر الكاميرا تشكرته وأخبرته بمدى رغبتها في زيارته والتعرف عليه ضحكت قائلة له هل تريد أن تأخذني برحلة في بغداد ؟! نظر إليّ ضاحكا ثم إليها نعم سآخذك ، أغلقت المكالمة معها ثم خرجنا إلى الجامعة معا قلت له إنك تقدم الكثير في هذا المجال فقال لي أجل فأنا في الصباح أفتح عيادتي وفي المساء أقوم بتحضير المحاضرات للجامعة ضحكت قائلة هل أناديك أستاذي أم طبيبي ؟! ضحك قائلا مثلما ترغبين يا دارين ، قلت له أتصدق بأن هذا البلد مليئ بالعلم أتصدق بأن أوروبا كلها لا تملك هذه المعرفة ، نظر إليّ منتبها لما أقوله سارحا في عشقي لهذا البلد قائلا لي نعم لأن أصول العلم ولدت هنا ، سألته ونحن نقف في ساحة الجامعة هل يمكن للطلاب أن يعثروا على العلم

كما حصلت عليه فقال لي أجل بالاجتهاد، لكل مجتهد نصيب .

كنت أراه تارة طبيبا يفهم بالطب وتارة أستاذ يعطي الدروس وتارة إنسانا يحمل معاني الإنسانية ويقدم العلاج مجاني للفقراء والمحتاجين ، حين قارنت أسلوبه مع الطبيب ديفيد عديم الإنسانية الذي كان يرفض تقديم العلاج قبل دفع المال وكان يطلب مبالغ كبيرة يقوم في نهاية اليوم بصرفها على متعته الشخصية وعلى الخمر حتى أصبح فقيرا بعد أن قاطعه سكان الحي وأصبحوا يذهبون إلى عيادة ليزا ، العالم لا يحتاج إلى أطباء بقدر حاجتهم إلى الإنسانية .....

"مقام النبي أيوب عليه السلام "

ذهبنا بعد انتهاء المحاضرة إلى مقام النبي أيوب أخبرني الطبيب عمار بأن والدته تريد زجاجة ماء من بئر مقام النبي أيوب ، سألته عن السبب فقال لي قصة النبي أيوب عليه السلام الذي ابتلاه الله بفقد أبنائه ومرضه حتى دعا الله " ربي إني مسني الضرّ وأنت أرحم الراحمين " حيث شافاه الله من مرضه ،قال لي بأن هنالك ابتلاء في الدنيا يعلم الإنسان أن

يحمد الله على النعم ، ومع الوقت سيدرك بأن كل ما يصيبه خير له .

هنالك طرقات مقدر لها أن تنتهي لتبدأ طرقات أخرى ، منْ كان يصدق بأنني سأمكث هنا في هذا البلد الطيب والكريم ، نزلنا من السيارة قال لي سنصلي أولا ، توضأت وصليت ودعوت قلت له ماذا دعوت الله فقال لي الصحة والعافية والستر والتوفيق ، شعرت ككل مرة أدخل فيها مرقدا دينيا مشاعر الحب والقرب من الله عز وجل وكم يخاف علينا من أنفسنا ، قال لي الدكتور بأن الله لا يحب أن يرى عبده حزين حتى وإن أحب الشئ سيجعل فيه الفراق ليحفظ للمرء نفسه وكرامته قلت له : حقا ؟ ! فقال لي : أجل .

- هل رحلتي معك جميلة ؟!
- ابتسم قائلا أجمل رحلة في حياتي يا دارين .
- هل أستطيع أخذ الماء من البئر ؟!
- أجل إنه مجاني فيه شفاء من الأمراض بإذن الله عز وجل

قمنا بتعبئة الماء من البئر ثم ذهبنا إلى منزل والدته ، منذ قدومي إلى بغداد وأنا أريد التعرف عليهم جميعا ، كان منزلهم مضياف وينبع فيه الكرم أما

والدته فهي معلمة أجيال ولديها الكثير من العلم وتحسن الضيافة وإلا لما أنجبت كل هذا العلم الواسع ....

تناولت عندهم الدولمة العراقية كان طعامها طيب جدا ، شعرت بأنني قريبة منهم أخذت تسألني عن رحلتي في الباكستان نظرت إلى الدكتور عمار فكان قد أخبرها عن هذا الأمر ....

حين تتعرف على شخص في حياتك فإن الأمر سيكون عبارة عن حلقات متصلة من الأماكن والأشخاص والذكريات الجميلة .

"ولاية ألاباما "

كان عليّ إخبار أريان عن زيارتي لعائلة الدكتور عمار لكنه تفاجأ وهو ينظر إلى الصور في هاتفي لقد قال لي هل حقا أحببتِ العراق ؟! قلت له : أجل ،كثيرا

سكت قليلا دون أن يتحدث بكلمة لقد شعرت بأن اللوم بيننا مستمر نعاقب أنفسنا على ما مضى ، ألقى سيجارته على الأرض بعدها قال لي ستلقين أخطائك عليّ ككل مرة نظرت إليه باستغراب وتعجب لم لا ؟!

كان الغضب يخرج من عينيه يريد أن يقول لي وأنتِ فعلت كما فعلت ؟! أنتِ مخطأة كما أنا ؟!

نظرت إليه ثم دخلت إلى الغرفة .

الطريق طويل لكنني مؤمنة دوما بأننا سنلتقي بمن يستحقون قلوبنا ، كانت أيام الأسبوع قاسية جدا بالنسبة لي ولم يكن هنالك يوم واحد لنستمتع فيه ، جهزت الغذاء واتصلت بأمي أشكو تصرفات أريان معي قالت لي بأن الزواج يختلف عن الحب يحتاج إلى الصبر ، قلت لها إنه يغار عليّ أكثر من قبل حتى على أبسط الأمور ضحكت قائلة إنه من أصول باكستانية ذات عادات وتقاليد فكيف سيكون ؟! جعلتني أضحك من كلامها لكنه يبالغ في الأمور يبالغ كثيرا...

بدأت ألاحظ تغير الكثير من الأمور وإلى الآن فقد كنت أريد الذهاب لزيارة عائلتي لكنه رفض الأمر

تشاجرت معه وذهبت إليهم ، إنه يريد أن أكون له وحده فقط وهذا الأمر يتعبني ...يتعبني كثيرا

قال لي لا يمكنك أن تتصرفي دون اذن مني فأنا المسؤول عنكِ نظرت مستغربه مما يقوله فجأة أصابني الضحك ضحكت لما يقوله لي ،نعم ضحكت كثير ثم قلت له أنت ستجعل الطلاق أمرا سهلا بيننا ، قال لي متحديا أنتِ من ستقرر الأمر ....

" بغداد "

" شارع الرشيد "

بعد أن زرت مقام النبي أيوب عدت إلى منزل خالتي زينة بالقرب من شارع الرشيد ، عانقتني قائلة لقد اشتقت لكِ ابنتي فقلت لها وأنا أيضا ..

- أين منال ؟!
- في الخارج مع صديقاتها
- هنالك خبر سعيد ،لقد تقدم عريس لها ؟!
- من هو ؟!
- إنه شاب محترم من عائلة معروفة كما درس معها في نفس الجامعة .
- وما رأيها ؟!

- أظن بأنها موافقة

- أسعدني ذلك ، أتمنى لها السعادة

- وأنا أيضا دعوت الله أن يسعدها فهي ابنتي الوحيدة

- وأنتِ يا دارين متى ستفكرين بالزواج ؟!

نظرت إليها بتهرب وقلت لها ربما في وقت آخر لكن ليس الآن

-لا شئ يغني عن العائلة ، لا بد أن تتزوجي وتصبحي أما ولديك عائلة .

كانت تخبرني عن العائلة وعن الأبناء رغم أنها عقيم، عرفت بأنه لا يوجد امرأة عقيم في هذا العالم ، فجميع النساء أمهات وإن لم ينجبن.

الحياة تحتاج إلى امرأة تحمل المسؤولية تساند زوجها في بناء المنزل ،امرأة مليئة بالحب تعرف كيف تحتوي عائلتها بالشكل الجيد ، امرأة شامخة في وجه الظروف التي قد تعاكسهم، ملجأ آمن لهم ، صبورة على مُر الزمان تستقبل أفراحهم بعيون تلمع من السعادة ، امرأة تلوح من بعيد لكل الظروف الصعبة التي تواجههم.

في غرفة الجلوس جلست أتحدث مع خالتي زينة حاولت اقناعها بأن تتحدث مع عمي عدنا حتى قبلت

، اتصلت به كان صوته متعب أخبرته بأن خالتي زينة قبلت التحدث معه شعرت بأن صوته أصبح بعيد جدا عن سماعة الهاتف ، أعطيت الهاتف لها بدأ حديثهم بالسلام قالت له صوتك لم يتغير لكنك متعب ؟! عرفت بأن الإنسان لا يمكن أن ينسى تفاصيل الشخص الذي أحبه ، لا أعلم ماذا قال لها حتى ضحكت بصوت عالي ، تركتهم يتحدثون ودخلت الغرفة شعرت بأن السنوات كلها ستنطوي في مكالمة واحدة العتب ...اللوم ...الاشتياق ....

بعد أن انهت مكالمتها معه طرقت باب الغرفة لتعطيني الهاتف فعدت أجلس بجانبها قلت لها أخبريني ماذا حصل ؟!

-ربما القدر كان له قصة أخرى لقد كنت أظنه سعيدا في حياته ، لقد كنت اسأل نفسي كل يوم هل هو سعيد معها ؟! هل يتذكرني ؟!

- هل أخبرك بشئ ؟!

- أجل، أخبريني

- إنه عمي وأنا أعرفه كثيرا لقد كنت أقضي الإجازة في منزلهم لقد كان حزينا جدا ووحيدا رغم أن حياته هادئة جدا ...

- ماذا أيضا؟!

- إنه يشبهك ويشبه حياتك ....وحيد وهادئ جدا لكن شئ ما ينقصه في حياته .

- لقد قال لي : أنتِ يا زينة المرأة التي أحببتها ولم أتخلى عنها لا في الذاكرة ولا في الظروف ..

- حقا ؟!

- نعم هكذا قال لي كما سألني عن منال ؟!

لقد عادت بي ذاكرتي إلى الماضي ، تذكرت يوم أخبرني الطبيب بأنني عقيم وهو عقيم ، أتصدقي ماذا قال لي اليوم ؟!

- ماذا؟!

- لقد ذكرني حين تمشينا معا في شارع أبو نؤاس كنت عائدة من المدرسة وهو قد أنهى عمله الصحفي كانت الظروف صعبة جدا لكننا جلسنا على المقعد بين أشجار النخيل ننظر إلى الغيوم نحلم بالسفر والأبناء حيث الهدوء والسلام ، قلت له ضاحكة لا أريد الذهاب حيث الغيوم أنت سمائي فقال لي وأنتِ قمري .....

شعرت بالأسف لقصة الحب التي لم تكتمل فكيف اللقاء ، وفي تمام الساعة التاسعة أخبرني عمي بأنه

سيأتي العراق قلت له ماذا ؟! كيف ؟! لكنه قال لي بأنه سيأتي لا محال ...

أخبرت خالتي زينة فشعرت بالقلق والتوتر كيف ستلتقي به بعد هذه السنوات ....

وبعد بومين اتصلت بي أمي اعتقدت بأن أمر ما قد أصابني لذلك سيسافر عمي العراق فقلت لها بأنه يريد أن يلتقي بخالتي زينة ، لقد كان موقفي صعب وبسبب زوجته وعائلتي لكنني تركت القدر ليرتب كل شئ .

في المساء جلسنا نشرب الشاي ونتحدث عمّا يجب على كل إنسان مقبل على الزواج ، كانت خالتي زينة توصي منال ببعض الأمور ليبقى الزواج ناجحا رغم الظروف حيث قالت أهمية الحب والاحترام المتبادل بين الزوجين ، سألتها كيف جعلتِ عمي عدنان يحبك كل هذا الحب رغم المسافات والبعد ؟! ضحكت منال وقالت : أجل اخبرينا يا أمي ، فقالت لنا كنت صادقة معه كما هو كان صادق معي والحب متبادل بيننا ، فقد مرت السنوات لكننا سنلتقي لأن الحب الصادق يعود وإن غادرنا في أي محطة من حياتنا ، قلت لها لكنه لا يمحي ألم الفراق نظرت إليّ قائلة لقد تزوجت رجلا آخر لكنه لم ينسيني شخصا أحببته من قلبي ...

" بغداد في التسعينات "

" زينة "

في فصل الشتاء كنت قد اتفقت معه على الذهاب إلى السينما لا زلت أتذكرها سينما الزوراء في شارع الرشيد ، ركبت معه السيارة قال لي : أنتِ هدية القدر لي ضحكت من كلامه وقلت له أجل من كان يصدق بأنك ستأتي هنا لتغطية الأوضاع ثم تقع في حبي ، فقال لي أتصدقي يا زينة حين رأيتك أول مرة تقفين في الشارع شعرت بالخوف عليكِ لسبب لا أعرفه ، لقد شعرت بأنكِ تعني لي ، قلت له : حقا ؟! فقال لي أجل ، لقد كان العمل كمعلمة صعب في تلك الظروف لكنني كنت مؤمنة بأهمية إعطاء الدروس للأطفال ، لقد تغيرت الكثير من الأمور بعد حرب العراق فالكثير من الناس غادروا البلد ومنهم من فارقوا أحبابهم لكنني كنت من الفتيات اللواتي يخبأ لهن القدر قصة أخرى زواج يفتح صناديق مغلقة من العتمة ، لم تكن صناديق عادية إنما خيبة بعد الخيبة وكأنني أعاقب على قصة حب لم تكتمل وأظن بأنها انتهت مبكرا مبكرا كثيرا ....

شاهدنا فيلم كان هنالك زوجين في دار السينما ، الجو ماطر في الخارج وبارد جدا كان يصنع ذكريات لا يمكن أن تنمحي أبدا من الذاكرة ، كنت خائفة من

الأوضاع في الخارج لكنه كان يضمني إلى صدره ويغطيني بمعطفه ، كان يحبني بطريقة تختلف عن الزيجات التي رأيتها في حياتها من الأقارب والأصدقاء فلم ارى زوجا يحب زوجته كما يفعل معي .

في ذلك الحين تمنيت أن ينتهي الفيلم لنعود إلى المنزل شعرت بالنعاس فقال لي هل ستنامي؟! فقلت له أشعر بالنعاس فقال لي : صغيرتي لنعد إلى المنزل ، دفع الحساب وخرجنا من الدار كانت الأمطار تصفع وجوهنا ، الشارع خالٍ من الناس والليل مظلم ، ركبنا السيارة وعدنا إلى المنزل ، في تلك الليلة اصبت بالحمى فقد ارتفعت درجة حرارتي ولم يعرف ماذا سيفعل فقد ألقى اللوم على نفسه ، وضع كمادات ماء بارد واحضر لي شوربة العدس وبقي مستيقظا طوال الليل بينما نمت ، وفي الصباح رفض أن يذهب إلى العمل وبقي معي في المنزل ، لقد كان يوما سعيدا بالنسبة لنا ، شاهدنا التلفاز وقرر أن يطهو الطعام بنفسه قال لي لا أرغب في العمل أريد البقاء هنا فقلت له هل سنتضور جوعا ؟! فضحك وقال لي أحبك ، وأنا أيضا .....

بعد فترة من زواجنا شعرت بأن هنالك أشخاص يحملون الكره والحسد تجاه علاقتنا ، حيث أن هنالك

مقارنات بين حياتي وحياتهن ، حتى بعد أن أخبرني الطبيب بأنني عقيم ، شعرت بأن هنالك شماتة من الكثير حيث قالت لي إحداهن لن يكتمل زواجك دون الأبناء ، لكن كانت هنالك صديقة تحبني اسمها آمال قالت لي تواسيني لا تحزني لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ، لا تفقدي الأمل .....

ذات يوم ذهبت معه للتسوق كانت هنالك امرأة أعرفها تشتري من نفس المحل اقتربت منّا وقالت لي عن مستلزمات الأطفال ثم سخرت مني وقالت لي لن تحتاجي مثلها يا زينة ثم غادرت ، تركت الزجاج من يدي وقلت له لنعد إلى المنزل لا أريد شراء أي شئ فقال لي لا تسمعي كلامها إنها تغار منكِ ، لقد دست كلامها كالسم وغادرت ، عدنا إلى المنزل وامتنعت عن الطعام لقد حزنت كثيرا ، كنت أشعر بأن هنالك مقاعد فارغة ستبقى موجودة على مائدة الطعام ولن يجلس عليها أحد وهنالك غرفة الأطفال ستغلق وللابد.....

لم تكن فكرة التبني تطرق مخيلتنا ولم أكن أتوقع أن يكون لدي ابنة لكن الأقدار من تتكفل كل شئ .

السنوات لم تكن قادرة لمحو أي شئ مما عشته مع عدنان ، لكن هنالك أمور تجبرنا على المضي مهما كانت مهمة بالنسبة لنا ، ورقة الطلاق التي أرسلها

لي ومعرفة الجميع بأنني امرأة عقيم جعلتني أعيش نوبة من عدم الثقة بأي شئ ...نوبة من الحزن واللوم وشماتة الأقارب لقد أصبح الجميع يلومني على زواجي منه ، سمعت الكثير ممن قالوا بأنني نزوة في حياته وحين أنهى عمله في العراق غادر دون أن يلتفت ....

بعد مرور سنة أجبرتني عائلتي من الزواج من عمر والذي توفيت زوجته وكان لديه ابنته منال ، قبلت به كما هو وافق بي رغم معرفته بقصتي ، لقد كان يحترمني كثيرا بعدها سافرنا إلى أمريكيا أكملت دراستي وعملي ، لم يكن يجبرني على أي شئ مهما كان ، كما كان ممتنا لي لحسن تربيتي لابنته منال ، رغم ذلك لم يكن ينسيني زواجي الأول .....

كما كان دوما يمدح زوجته التي توفيت ويشكر بها وكان ذلك يسعدني لأن كلانا يحترم الآخر الذي كان جزءا من حياته .

"بغداد"

"شارع الرشيد"

"دارين"

جهزت نفسي لاستقبال عمي عدنان فكرت كثيرا في اللقاء ، تخيلت كثيرا لو أنه لم يتركها ، وصلت المطار كان مليئ بالمسافرين انتظرت وصول طائرته إلى أن وصلت ، كانت عيناه مليئتان بالدموع يرتدي قميصا أزرق ويحمل حقيبته بيديه ، نظرت إلى ملامحه التي أتعبها الزمن والمرض ، عانقته ثم حملت عنه حقيبته وركبنا السيارة لنعد إلى المنزل كان حزين جدا وسعيد لكن شعوره بالندم والحسرة كان واضحا عليه ، قال لي كيف حالها ؟! فقلت له : إنها بخير .

توقفت السيارة عند اشارة المرور فنظر إلى الساعة وقال لي لقد تأخرنا أليس كذلك ، نظرت إليه وقلت له لا لم نتأخر .

قال لي : لقد ارتديت قميصا أزرق كما في اللقاء الأول ، قلت له متعجبة حقا ؟! فقال لي : أجل .

- **أما زالت تضع مفاتيح المنزل داخل المزهرية ؟!**

- اجل حتى لا تنسى مكانها
- أتبكي على أنفع الأسباب ؟!
- نعم كثيرا ...
- تطهو الطعام لكن تضع القليل من الملح
- اجل ، طعامها ليس مالحا
- أتذكر بأنني كنت أضع الملح في صحن آخر لأن طعامها ليس مالح

نظرت إليه وهو يخبرني بأدق تفاصيلها وتذكرتها عندما أخبرتني أدق تفاصيله ، حين وصلنا المنزل ونزلنا من السيارة وقف قليلا قلت له لندخل فقال لي لا أستطيع ، قلت له : لا يمكن أن تعود .

طرقنا الباب ففتحت لنا نظرت إليهم وهم يتبادلان النظرات سلم عليها وعانقها ، ابعدت عنه وقالت له لا يمكن ذلك .

قالت له قميصك ذاته ؟! تلعثمت وقال لا إنه يشبهه ، قال لها : لم تتغيري أبدا فقالت له وأنت لم تتغير أبدا ...

سألها كيف حالك ؟! فقالت له : أتسأل؟! ماذا عنك ؟!

كان لقائا مليئا بالعتب والشوق والفرحة وجميع المشاعر التي لم أفهمها ، لكن بعد أن أحضرت

الشاي ووضعته على الطاولة نظر إليها وقال لها : أريدك في حياتي الثانية ، هل تقبلي الزواجي بي ؟! شعرت بأنني سأقع على الأرض إنه يعرض عليها الزواج مرة أخرى ، نظرت إليه وقالت له بهذا العمر ؟! لا ،لا يمكن ذلك فقال لها : لماذا ؟! احمرّ وجهها خجلا وكأن السنوات تطوى في هذا اللقاء ، عادت منال إلى المنزل ألقت التحية علينا وجلست سألها عمي عن حالها ؟! فقالت له : بخير ، بارك لها على الخطوبة ثم قال لها : أريد الزواج من والدتك ؟! أتقبلي ذلك ؟!

نظرت إلينا وقالت : لم ،لا بعدها عاد يطلب يدها للزواج فقبلت ذلك .

لم أكن أتخيل بأنه سيعرض عليها الزواج من اللقاء الأول لكنه الحب نعم إنه الحب الذي تكفل في كل شئ .

"ولاية ألاباما "

" دارين "

-أين ستذهب ؟!
- إلى مختبر أليكس
- لقد حجزت طاولة للعشاء ، لا تتأخر
- حسنا عزيزتي ، الوداع

في المساء ذهبنا إلى المطعم ، كان الجو هادئا جدا ، القليل من الزبائن ، الطاولات كلاسيكية حتى الصور المعلقة على الجدران تعود إلى أوروبا في الستينات ، جاء النادل ليضع الأطباق وبعدها عصير التوت البارد ، أمعنت النظر في أريان سكت قليلا ثم قلت له أريد اخبارك بأمر مهم ، حدق بي مبتسما وعدل جلست قائلا أسمعك جيدا قلت له بصوت منخفض أنا حامل ، ضحك بصوت عالي مستغربا مندهشا قائلا لي : لا تمزحي معي يا دارين ضحكت بصوت عال وقلت له : لا أمزح ، أنا حامل ،حضنني بقوة قبّل يداي وقال لي هل سأصبح أبا فقلت له أجل ، وأجمل أب في هذه الدنيا .

ظهرت على ملامحه سعادة كبيرة احمّر وجهه وتلعثمت كلماته كانت سعادته كبيرة جدا ، قال لي متسائلا كيف سأبدو؟! قلت له : ستكون أبا حنونا

ورائعا، تناولنا الطعام وخرجنا من المطعم توقف بي عند أحد المتاجر ، ذهب ليشتري لي الحليب والعسل والجبن قال لي : سيكون طعامك من الآن فصاعدا صحيا قلت له : لقد بدأت من الآن تهتم بنا فقال لي : ولِم لا .....

بعد مرور الأوقات الحزينة والصعبة تأتي السعادة على هيئات مختلفة إما أن تكون أشخاص أو نجاح أو راحة أو حب ، هنالك سعادة تأتي من داخلنا حين نهتم بأنفسنا ونصلح أمورنا ونرتب حياتنا ، هنالك أفراح وأفراح وأفراح ستطرق بابنا وستكون عوضا لنا عما مررنا به ، إنه الإيمان بالمسرات يجعلها تأتي حينها يكون بإمكاننا استقبالها بحب ورغبة أكبر في الشعور بها قبل امتلاكها والحصول عليها ، بعد أن نسافر كثيرا ونسير في الكثير من الطرقات ندعم أنفسنا بالحب ، أن نحب ذاتنا وغيرنا لأننا في النهاية سنصل إلى ما نحب ونريد ، القليل من الأمل يفتح أبوابا كثيرة لأن القليل أفضل من العدم ،القليل من الأمل يجعلك تكافح أكثر في السعي ليصبح الأمر واقعا وحقيقة .

اقتنعت مؤخرا بهذه الأمور التي يجب علينا معرفتها وتدريب أنفسنا عليها ، كما أنني فهمت بأن العلاقات الناجحة يجب أن تكون متزنة لتستمر فلو أرخينا

أشرعة التملك والتعلق لأصبح كل شئ يطير محلقا ثم يعود إلينا ، فأكثر الأمور تحتاج إلى التخلي أكثر من التمسك والإعتدال في المشاعر وذلك بعد أن نحب ذاتنا ونستمر في السعي من أجل أنفسنا .

قد لا ننضج إلا بعد الخيبة وبعد الألم لكننا حين ننضج فإننا سنتمسك بالسعادة لا في الحزن بل سنكون في وعي أكبر بما نمر به ونجتهد لأجله ، الحب وأشياء أخرى علينا معرفتها والتعرف عليها في الحياة حتى نكبر وننضج ونصبح قادرين على حمل ومواصلة الطريق .

قد لا نعطي الكثير لكننا حين نعطي سيكون العطاء نابعا من القلب على العكس من البدايات التي تجعلنا نُقبل على الأمور برغبة أكبر وبقوة دون أن نراعي الأمور التي تهوي بنا في القاع لتجعلنا نرتطم بالواقع ، لكن هنالك أحلام تدفعنا نحو تجاوز أي عائق مهما كان .

لا يمكن أن نحب غيرنا وأن ننجز ما نريد إلا بعد أن نتجاوز ....نتجاوز الكثير من الأمور ....

حين تمت خطوبتي للمرة الأولى كنت سعيدة جدا لكنني لم أكن قادرة على تحمل أية مسؤولية كنت كثير الاعتماد على أريان ، كان يخبرني دوما بأنني اتكالية جدا لكنه حين تركني وغادر منحني فرصة

للتحليق بعيدا فأكملت دراستي وعملت بجهد كبير وسافرت إلى بغداد وإلا لما وصلت إلى المكانة التي حققتها اليوم ، لقد تغيرت كثيرا بفعل الظروف التي مررت بها كما أنني شعرت بأن أريان تغير كثيرا فلم تعد علاقتنا عابرة ومليئة بالتحديات والمراهقة إنما أصبحت متزنة تماما فقد تخلى عن الكثير من العادات السيئة لأجلي وأنا أصبحت قادرة على تحمل المسؤولية.

في تلك الليلة قال لي : لا أستطيع النوم قلت له : لماذا؟! ، فقال لي : أريد معرفة الكثير عن تربية الأبناء وكيف أصبح أبا جيدا ؟! ضحكت وقلت له لننام الآن لقد تأخر الوقت ، حضنني ووضع يده على بطني وقال يهمس للجنين سأكون أبا رائعا لك ، ضحكت وبعدها نمنا .

في الصباح جهزنا أنفسنا للذهاب إلى عيادة الدكتورة نيفين القريبة من الحي ، قال لي أريان بأنها طبيبة جيدة تفاجأت كيف عرف ذلك ؟! فقال لي : لقد سألت ليزا عنها عندما كنت تبدلين ملابسك ، أريان كعادته يهتم بأدق التفاصيل التي تتعلق بي ، ذهبنا إلى العيادة قامت بإجراء بعض الفحوصات لي ثم سمعنا نبضات الطفل كان ذلك يشعرني بالدفئ ومشاعر الأمومة ، شعرت بأن مشاعر الأمومة بدأت تزيد من مسؤولياتي تجاه ابني ....

خرجنا من العيادة وفي الطريق قال لي أريان ما رأيك أن نسافر إلى الباكستان مرة أخرى؟! فقلت له : لكن ليس الآن بعد الولادة نفكر بالأمر لكن لماذا لا نذهب إلى بغداد ؟! نظر إليّ صامتا ثم سألني هل أحببتِ بغداد حقا ؟! فقلت له : أجل ، كثيرا .....

بعدها قلت له سآخذك برحلة فيها ستحبها كثيرا ، فقال لي : أخبريني عنها ، قلت له : سأخبرك عن الإعلامية سهير الهاشمي نظر إليّ باستغراب منْ تكون ؟! قلت له : لقد قضيت عندها مدة من الوقت وكان ذلك يسعدني كثيرا لقد تعلمت عندها فن الإتيكيت فهي تعطي المحاضرات في هذا المجال ، نظر إليّ قائلا : لقد عرفت لماذا أصبحتِ منظمة أكثر ، ضحكت وقلت له : أجل وليس ذلك فحسب لقد

أصبحت أكثر اتزانا في علاقاتي مع الآخرين ، كان يقود السيارة بينما يقول لي وماذا أيضا ؟! فقلت له : لقد زرت والديها وتعرفت عليهم ، قال لي : حقا ؟! فقلت له : والدتها امرأة كبيرة في السن تجلس على الأريكة تضع أدويتها على الطاولة بينما يقابلها والدها شيخ كبير في السن يمسك المسبحة بيده ولا يكف عن ذكر الله ، لقد أخذنا الحديث عن الحياة وعن البدايات وانتهى بالدعاء لي ، لقد قالت لي سهير بأن الله يستجيب من والدتها كل دعاء ، نظرت إليها وقلت لها : أعرف ذلك فهي من تدعو الله من قلب صادق ، دعوة صادقة من قلب صادق ....

كبار السن يستحقون منّا الحب والاحترام ، إنهم يذكروننني دوما بتجاعيد الزمن التي ترتسم على وجوههم وبراءة ضحكاتهم، قلوبهم قريبة من الله ودعواتهم مستجابة .

" النـهاية "

إننا في بداية العمر نجازف ونضع أحلاما ونحاول تحقيقها ونمر بالكثير من التجارب لكننا في النـهاية نحتاج قلبا صادقا ليستمر معنا إلى الأبد يشاركنا ضعفنا وقلة حيلتنا حين نكبر ونشيخ وحين تمتلئ شعورنا بالشيب وحين تهرم أجسادنا ، حينـها نحتاج إلى من يقف بجوارنا ويكون عكازا لنا في هذا العمر رفيقا لا يفارقنا مـهما قست علينا الظروف .

أخبرت أريان التفاصيل التي حدثت معي في العراق ، وأخبرته عن جسر الأئمة كيف يفصل بين منطقتي الأعظمية والكاظمية وأخبرته عن عائلة الدكتور عمار الجصاني وعن عائلة السيد خالد عطا علي وعن الإعلامية سهير الـهاشمي وعن زواج خالتي زينة وعمي عدنان ، أخبرته الكثر من الأمور ....

قلت له ونحن نجلس في حديقة المنزل إنني لا أريدك بجانبي فقط ونحن في هذا العمر ، إنني أريدك أن نبقى معا حتى نكبر ويشيب شعرنا ، عانقني وقال لي : أنتِ رفيقة العمر يا دارين .....

فاطمة الكحلوت....

ولدت في ٢٩ / ١٠ / ١٩٩٨ في مدينة السلط ، عملت في مجلة المرأة العربية ومجلة سحر الحياة ،اصدرت العديد من الكتب .....

- **ذاكرة يبللها المطر**
- **أنثى لا تنسى**
- **أين تباع السعادة**
- **سكة سفر " رحلة في قطار الحياة "**
- **العشق بدون قواعد**

الخاتمة

" أفضل ما تقدمه لغيرك أن تحسن معاملتك له "

الحمد لله على التوفيق لهذا العمل والشكر الكبير لغاليتي وقرة عيني أمي ولكل من قدم لي الدعم في هذا العمل الرائع ...